دير القديس أنبا مقار
برية شيهيت

قصة الإنسان

حول

الخطية والخلاص

الأب متى المسكين

coptic-books.blogspot.com

قصة الإنسان

حول الخطية والخلاص

... لقد خصَّ الله خليقته العامة بالجودة والحسن. أما خلقة الإنسان الذي خلقه على صورته كشبهه، فيقول أنها حسنة جداً. وبذلك نكون خلقة الإنسان ـــ أو الخليقة البشرية ـــ في نظر الله متقنةً جداً. وهذا يرجع بالطبع إلى كونه مخلوقاً على صورة الله كشبهه؛ هذه الصورة التي بلغت حدودها العظمى ووضوحها الإلهي في شخص يسوع المسيح.

ولكن تمت المأساة بالفعل. فقد مدَّ الإنسان يده وتناول الثمرة المحرمة، وأكلها بغواية الحية.

... لقد كشف المسيح بنور إلهي أنه بقي في صميم كيان الإنسان، بعد أن سقط، عنصرٌ قابل للالتحام بالحياة الأبدية مرة أخرى بواسطة الإيمان بالمسيح، باعتبار المسيح هو هو الحياة الأبدية ... وهكذا يتضح أن شخصية الإنسان لم تتحطم تماماً بالسقوط، بل بقيت شامخة ممتدة، في المسيح، نحو الخلود الذي خُلقت لتعيشه بمسرة الله الشديدة نحو الإنسان. فالذي فقده الإنسان بالسقوط، يستردُّه بالفداء؛ أما الذي لم يفقده فهو أعز ما يملكه من صورة الله، وهو استعداده للخلود بحرية اختيار وفهم ومعرفة، وقدرةٍ على الاقتداء بالمسيح نفسه.

إعادة الطبعة الثانية (١٩٩٢)

الثمن ١٧٥ قرشاً

coptic-books.blogspot.com

كتاب: **قصة الإنسان حول الخطية والخلاص.**
المؤلف: **الأب متى المسكين.**
الطبعة الأولى: ١٩٨٥
مطبعة دير القديس أنبا مقار ــ وادي النطرون.
ص. ب. ٢٧٨٠ القاهرة.
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٨٥/٤١٢٣.
الترقيم الدولي: ٤ ــ ٠٢٤ ــ ٤٤٨ ــ ٩٧٧.
جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف.

coptic-books.blogspot.com

المحتويات

coptic-books.blogspot.com

coptic-books.blogspot.com

قصة الإنسان

حول الخطية والخلاص

□□□

قصة الخليقة:

حينما نقرأ قصة الخليقة، نجد أنه بعد الإنتهاء من خلقة النور والسماء والماء والأرض والبحار، يردف الوحي بفم الكاتب أن الله وجد هذا حسناً: «ورأى الله ذلك أنه حسن». ثم بدأت خلقة النبات من عشب وشجر و بقول، ورأى الله أيضاً أن ذلك حسن. ثم بدأت خلقة الأجرام السماو ية المضيئة، الشمس والقمر والنجوم، ورأى الله أن ذلك حسن. ثم خلقة زحافات المياه، والتي تدبّ على الأرض وكذلك طيور السماء، وهذه بالذات خصّها الله بالبركة لتكثر وتملأ المياه والأرض، ووجد أيضاً أن ذلك حسن. ثم بدأ بخلقة حيوانات الأرض من بهائم ودبابات ووحوش، ورأى الله أن ذلك حسن.

خلقة الإنسان على صورة الله:

بعد ذلك كله قال الله: «نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا. فخلق الله الإنسان على صورة الله خلقه، ذكراً وأنثى، و باركهم الله وقال لهم: أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض، وأخضعوها وتسلّطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض» ـــ أي أن الله سلّط الإنسان على كل الخليقة ـــ و يقول الكتاب هنا بالذات أن الله رأى ذلك أنه «حسن جداً».

coptic-books.blogspot.com

وهكذا خصَّ الله خليقته العامة بالجودة والحسن، أما خلقة الإنسان الذي خلقه على صورته كشبهه، فيقول أنها حسنة جداً. و بذلك تكون خلقة الإنسان ــ أو الخليقة البشرية ــ في نظر الله متقنةً جداً، وهذا يرجع بالطبع إلى كونه مخلوقاً على صورة الله كشبهه؛ هذه الصورة التي بلغت حدودها العظمى ووضوحها الإلٰهي في شخص يسوع المسيح. أي أن طبيعة الإنسان، وإن كانت تتساوى مع باقي الخليقة الأرضية في شيء، إلا أنها تفوقها جميعاً في شيء آخر أعلى من الطبيعة كلها، وأعظم من كل ما خلق الله في عين الله نفسه. بسبب هذا نكاد نجزم أن الله خلق الإنسان على صورته لكي يدرَك الله وتُدرَك صفاته من خلال الإنسان و يعبَّر عنها إدراكاً وتعبيراً واقعياً من واقع خلقته ــ أي الإنسان ــ دون جميع مخلوقات الله طُرًّا.

بالسقوط تشوهت صورة الله في الإنسان، وأعاد المسيح صياغتها بتجسده:

وهكذا نستطيع أن نقول باختصار، إن الإنسان مخلوق من عنصر طبيعي هو التراب، ومن عنصر آخر غير طبيعي، فائق على الطبيعة، ذي صلة بالله نفسه كخالق: «على صورتنا كشبهنا». أما هذه الصلة العجيبة والسرية للغاية فيقول الكتاب إنها جاءت إثر نفخة: «ونفخ في أنفه نسمة حياة... فصار آدم نفساً حيّة». هذه النفس، في خصائصها الجيدة وفي حالة سموِّها، كانت تعطي، بمجال ما، صورةً لله وشَبَهه في آدم، ولكن بعد السقوط فقدت هذه الصورة كثيراً من خصائصها ولكن دون أن تُمحَى. وهذا يفسّر لنا بصورة تطابقية أكيدة كيف أن الإنسان في النهاية ــ بواسطة المسيح ــ أُعيدت صياغة نفسه بتجديد خلقتها، عندما نفخ المسيح في تلاميذه بعد قيامته نفخة الروح القدس لإعطائهم حياة جديدة، يتجه مركز تجديدها وقوتها تجاه الخطيئة بسلطان إلٰهي: «فقال لهم يسوع أيضاً سلام لكم؛ كما أرسلني الآب أرسلكم أنا. ولما قال هذا نفخ وقال لهم اقبلوا الروح القدس؛ من غفرتم خطاياه تُغفر له، ومن أمسكتم خطاياه أُمسِكت»

coptic-books.blogspot.com

(يو٢٠: ٢١ــ٢٣). هكذا استعادت الصورة الإلهية، التي شوّهتها الخطيئة، سابق براءتها.

وترون، أيها الأحباء، أن التركيز في الخليقة الأولى كان على النفس البشرية، فهي التي اقتبلت الروح من الله بنفخةٍ مباشرة فصارت نفساً حيّة تحس بوجود الله وبإرادته، وكانت حسنة في كل شيء لأنها كانت تعكس صورة الله وصفاته!! وواضح من كلمة الله «فصار الإنسان نفساً حيّة»، أن النفس البشرية قبلت روح الحياة من الله. فالنفس مخلوق بشري، والروح روحٌ من الله خالدٌ، كما جاء في القداس الباسيلي باللغة اليونانية هكذا: «يا الله العظيم الأبدي الذي خلق الإنسان على الخلود» (ويلاحَظ أنه حين تُرجم إلى اللغة القبطية لم يكن فيها كلمة واحدة تفيد الخلود، فاستبدلت لفظة «الخلود» بالنص الذي ترجم إلى العربية: «على غير فساد»).

وهكذا فإن النفس البشرية المخلوقة شيء، وروح الحياة الخالد الذي فيها شيء آخر؛ فالنفس حيّةٌ بروح الله، والجسد حيٌّ بالنفس، والنفس في الدم (أنظر ١كو١٥: ٤٤و٤٦ و٢: ١٤، يه١٩، يع٣: ١٥).

لهذا يؤكد القديس بولس الرسول أن كلمة الله قادرة أن تخترق المفرق بين النفس والروح، وهو أدقُّ وأرقُّ فاصل في الخليقة كلها، لا يحسُّه الإنسان إلاّ في نور الكلمة الإلهية. هذا الفاصل يكوّن هيئة الضمير من هنا ومن هناك. فإذا انحاز الضمير إلى جزئه المضيء بالكلمة، صار ضميراً روحياً مدركاً لله إدراكاً متسعاً؛ أما إذا انحاز إلى جزئه النفسي البشري، صار ضميراً نفسانياً معتماً متأثراً بالجسد أشدَّ التأثُّر، لا ينفذ إليه نور الله إلا بصعوبة بالغة.

فليحترس القارىء، إذا كان ممن لا يفهمون الإنجيل ولا يحسُّون بكلمة الله ولا

coptic-books.blogspot.com

بتأنيب الضمير، من جهة الخطيئة أو الإبتعاد عن الله، لأن ذلك يعني انحياز الضمير إلى النفس والعطف عليها، و بالتالي إلى الجسد وشهوات العالم وغرور الدنيا.

كذلك إذا انحازت النفس برُمَّتها إلى الروح الحي الإلهي المضيء فيها، صارت نفساً روحانية متأثرة وخاضعة لله بسهولة. أما إذا انحازت إلى الجسد، صارت نفساً معتمة متأثرة بالعالم خاضعة لجاذباته بسهولة؛ والآية التالية توضح وجود الجسد والنفس والروح معاً: «...وإله السلام يقدّسكم بالتمام، ولتُحفظ روحكم ونفسكم وجسدكم كاملة بلا لوم عند مجيء ربنا يسوع المسيح.» (١تس٥: ٢٣)

أما التركيز الثاني، الذي قام به المسيح، فنجده يجيء بنفس القوة على النفس البشرية، بعد أن أفسد الإنسان صورتها وجمالها بعصيانه ــ في آدم ــ أمر الله وسقوطه من مستواه، وفَقْدِ وجوده مع الله، وقبوله حكم الموت بسبب الخطيئة، حيث صارت نفسه متأثرة بحكم الموت الذي شمل الجسد أيضاً، فاقدةً قدرتها على الحياة مع الله: فالجسد ينتن و يضمحل في التراب، والنفس تبقى على حالها في شقاء مقيم. فقد خُلق الإنسان وله كلتا الإمكانيتين في طبيعته: عدم الخطأ، و بالتالي عدم الموت أو عدم الفساد، كقول القداس: «...الذي خلق الإنسان على غير فساد»، وكذلك في نفس الوقت له قابلية الخطأ، و بالتالي قبول الموت والفساد، وقد أُعطي الإرادة الحرة أن يختار. فلو كان الإنسان رفضَ الخطيئة ونجح في صدّ الشيطان وقاوم تشكيكه محتفظاً بسيادة الله، لكان سيعطَى الغلبة و يتوَّج بعدم الموت «قاوموا إبليس فيهرب منكم» (يع ٤: ٧)، ولأصبحت حياته ارتقاءً من مجد إلى مجد، كما يقول القديس أغسطينوس وبحسب قول الرسول: «اقتربوا إلى الله فيقترب إليكم» (يع ٤: ٨). ولكن الإنسان باختياره أن يكون كالله وقبوله أن يأكل من شجرة معرفة الخير والشر مخالفاً أمر الله، قبِلَ الخطيئة في كيانه، و بالتالي حكم الموت، وهكذا انكفأ في طريق طويل مرير، هو طريق التوبة والتطهير

coptic-books.blogspot.com

لقبول الفداء في النهاية، للخلاص من سلطان الخطيئة وحكم الموت.

الموت لم يكن ضرورة حتمية في طبيعة الإنسان:

إذن، لم يكن الموت ضرورة حتمية في طبيعة الإنسان، لذلك ومن هنا وضع الله الخطة لإنقاذه على أساس وجود إمكانية عدم الموت فيه كعنصر في طبيعته، جنباً إلى جنب مع إمكانية الموت: «من آمن بي ولو مات فسيحيا» (يو١١: ٢٥). ففي هذه الآية بالذات يكشف المسيح بنور إلهي أنه بقي في صميم كيان الإنسان، بعد أن سقط، عنصرٌ قابل للإلتحام بالحياة الأبدية مرة أخرى بواسطة الإيمان بالمسيح، باعتبار المسيح هو هو الحياة الأبدية: «أنا هو الطريق والحق والحياة» (يو١٤: ٦)؛ «أنا هو القيامة والحياة» (يو١١: ٢٥). و يكفي على ذلك دليلاً، قول بولس الرسول: «...لأننا نحن عمله، مخلوقين في المسيح يسوع» (أف ٢: ١٠)؛ «كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم» (أف ١: ٤). وهكذا يتضح أن شخصية الإنسان لم تتحطم تماماً بالسقوط، بل بقيت شامخة ممتدة، في المسيح، نحو الخلود الذي خُلقت لتعيشه بمسرة الله الشديدة نحو الإنسان. فالذي فقده الإنسان بالسقوط، يستردُّه بالفداء؛ أما الذي لم يفقده فهو أعز ما يملكه من صورة الله، وهو استعداده للخلود بحرية اختيار وفهم ومعرفة، وقدرةٍ على الإقتداء بالمسيح نفسه. وهكذا سنظل نتغير من مجد إلى مجد حتى تتطابق صورتنا على صورته إلى أن نصير مثله، كما يقول يوحنا الرسول (١يو٣: ٢).

أما إذا أخفق الإنسان في الإيمان بالمسيح وقبول روح القيامة من الموت منذ الآن، فإن الجسد يخفق في أن يتغير في القيامة العتيدة ليأخذ صورة جسد مجد المسيح، بل إنه يتغير ليأخذ في القيامة جسد العار والفضيحة على شبه الشيطان معداً مسبقاً للدينونة والهلاك: «...وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون، هؤلاء إلى الحياة الأبدية، وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدي» (دا١٢: ٢)؛

coptic-books.blogspot.com

«فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة.» (يو ٥ : ٢٩)

نفخة المسيح القائم من الأموات
أعطت الإنسان سلطاناً ضد الخطية والشيطان:

وهكذا تجيء نفخة المسيح القائم من بين الأموات لإعطاء النفس حياةً جديدة بالروح القدس ذات قوة جديدة، أولاً لإلغاء سلطان الخطيئة في ذاتها، وثانياً ذات سلطان لمغفرة خطايا الآخرين. هنا العمل الذي عمله المسيح بنفخِهِ الروح القدس، بعد قيامته، في وجه تلاميذه هو على مستوى تجديد خلقة الإنسان الأولى، فقد وهب النفس حياةً جديدة لها قدرة واستمرارية الحياة مع الله كآدم أولاً، لكن هذه الحياة الجديدة للنفس أعلى وأقوى من الحياة الأولى، إذ صار لها سلطان على الخطيئة والقيامة من الموت.

والملاحَظ، ضمناً، أن إعطاء الإنسان حياةً جديدة للنفس غالبةً للخطيئة وذات سلطان غالب وغافر للخطايا، يتسحب ويمتد حتماً بسلطان على الشيطان نفسه الذي غرس الخطيئة في طبيعة الإنسان الأول. فالخليقة الجديدة أصبحت متفوقةً على الخطيئة «فإن الخطيئة لن تسودكم، لأنكم لستم تحت الناموس، بل تحت النعمة» (رو ٦ : ١٤)، وقادرةً على قبول روح القيامة من الموت. كما يلاحظ أن حدود صورة الله وشبهه في الإنسان، التي جُبلت عليها النفس بنفخة الله، وتجددت بنفخة المسيح، تمثل أرقى ما في الإنسان من مواهب ومشاعر وعواطف وشرف وتعفُّف، وهي قُوى الضمير الأدبية والروحية التي تحاكي الله في أعماله وتعكس توجيهاته بواسطة الصلة التي بين الله والإنسان، فيتسنى للإنسان معرفة الله وفهمه وحبه وخشيته، وهي نفس القوى التي من خلالها يتبادل الإنسان مع الله العواطف: فالإنسان يشكر و يفرح و يسبِّح الله من خلال هذه الهبات الإلهية التي

coptic-books.blogspot.com

فيه، والله يوحي بالخير ويهتف بالضمير للسلوك الفاضل والسمو الأخلاقي، فينفعل الإنسان بهذه الأحاسيس، و يستجيب بكل قواه العقلية والنفسية والجسدية، بل و يتمادى في الإستجابة بالإستزادة، لأنه يحس مقابل ذلك برضى الله!! وهكذا تركزت صورة الله وشبهه في الإنسان بواسطة المسيح، بعد التجديد بالروح القدس، في ضمير نقي حساس، يأتي العجائب و يتصرّف بسموٍّ لا يمكن أن ترقى إليه الطبيعة البشرية العادية الأولى.

ولا يفوتنا هنا ـــ ونحن بصدد الخليقة ـــ أن نعرض للخليقة الروحانية في قول الله: «فأُكملت السموات والأرض وكل جُنْدِها» (تك ٢ : ١)؛ هنا الإشارة إلى خلقه جُند السماء تجيء طبعاً قبل خلقه الأرض «أنَّ السموات كانت منذ القديم، والأرض بكلمة الله قائمة» (٢بط ٣ : ٥). لكن عبارة «وكل جندها» تشير إلى الكثرة الهائلة والدقة والترتيب في الجنود، كما يجيء الإنسان في مسلسل الخليقة الأرضية في القمة كمخلوق يحاكي الله في داخله من جهة المعرفة وحرية الإرادة وسلطان الضمير المميِّز بين الخير والشر، بين اللائق وغير اللائق: «هوذا الإنسان قد صار كواحدٍ منا عارفاً الخير والشر» (تك٣ : ٢٢). لذلك كان تجديد هذه القوى النفسية، التي يعبَّر أحياناً عنها بالضمير والإرادة ـــ ولو أنها في الخليقة الجديدة تشمل ما هو أكثر وأوسع من الضمير، بعمل الروح القدس الذي يمتد ليشمل كل قوى الإنسان حتى كأنه صار بالفعل خليقة أخرى غير التي كانها، وغير التي كنا نعرفها في ذواتنا ـــ هذا التجديد بالروح يعطينا بدوره فكرة واضحة عن صدقٍ ودقةٍ رواية الخليقة حينما قيل إن الإنسان خُلِق على صورة الله كشبهه؛ لأننا وإن كنا قادرين أن نمتد ونتغيَّر إلى صورة الله، فكم بالحري سيكون تغيُّرنا بعد القيامة بالجسد الجديد الروحاني، على صورة جسد مجد المسيح؟

coptic-books.blogspot.com

سقوط الإنسان

□□□

وفي الأصحاح الثالث من سفر التكوين، وفي صميم ترتيب وضع الإنسان في علاقته مع الله والخليقة، فجأة يدخل عنصر غريب يزلزل كيان الإنسان، وكأنما كان لابد أن يدخل هذا العنصر لتكتمل صورة الإنسان، وخاصة فيما يتعلق بعلاقته بالله التي قامت منذ البدء على حرية الإرادة المشروطة، فالإنسان لم يأخذ حرية إرادة مطلقة أو خضوعاً مطلقاً لأوامر الله. إنما تظهر الحرية المشروطة بقول الله له: «وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكلْ منها، لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت» (تك ٢: ١٧). لقد أُعطي آدم حرية الإرادة أن يأكل أو لا يأكل، ولكن الشرط كامن وراء التحذير «لا تأكل» حيث تكون نتيجة عصيان الله هي توقُّف الصلة الحياتية الدائمة مع الله: «موتاً تموت».

وهكذا يظهر منذ البدء أن الطاعة لأمر الله هي الشرط الدائم اللازم لبقاء الإنسان حراً في إرادته يختار ما يختاره الله له بمنتهى الإنسجام؛ لأن هذا هو مفهوم خلقة الإنسان على صورة الله كشبهه، لأن الصورة إذا اتَّبعت أصلها، فمن ذا يستطيع أن يُنقص من حريتها وقدرتها الحرة على الحركة، ولكن إن عصت الصورةُ أصلَها فكيف تظل صورة؟ حيث العصيان يمثل استقلال الإنسان عن الله، وهنا يكمن خطر الموت، لأن الله هو مصدر الحياة الدائمة للإنسان، وعلى أقل تقدير نقول إن نفخة الله في الإنسان تتوقف عن استمرارها أو تتعطل!!

coptic-books.blogspot.com

نتائج السقوط وإمكانية التجديد:

وقد تمت المأساة بالفعل، فقد مدَّ الإنسان يده وتناول الثمرة المحرمة، وأكلها بغواية الحية. ولم تقتصر الخسارة الكبيرة على فقدان العلاقة المفتوحة مع الله، بل كما أنكر الإنسان سيادة الله عليه، هكذا تنكَّرت الأرض والطبيعة والخليقة كلها لسيادته، وإن كان قد تبقَّى له في مضمون كيانه صورة باهتة ضعيفة لهذه السيادة يمارسها بمنتهى المشقَّة، غير أنها تعلن بلا جدال أن صورة الله فيه لا تزال تحمل شيئاً ما من هيبة الله على الخليقة!

لأن صورة الله في الإنسان، وإن كانت تحمل إمكانية التشويه من جهة أعمال الإنسان، إلا أنها تحمل أيضاً إمكانية الإسترجاع إلى أفضل مما كانت عليه، شأن كل أعمال الله الصالحة. وهكذا بقيت الصورة المشوَّهة تنتظر الفداء، لتعود أفضل مما كانت: «ولَبِسْتُم الجديد الذي يتجدَّد للمعرفة حسب صورة خالقه» (كو٣: ١٠)، «وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق» (أف٤: ٢٤)، «الذين سبق فعرفهم، سبق فعيَّنهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه (الله)» (رو٨: ٢٩)، «وكما لبسنا صورة الترابي، سنلبس أيضاً صورة السماوي (الله)» (١كو١٥: ٤٩)، «ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجهٍ مكشوف كما في مرآة، نتغيَّر إلى تلك الصورة عينها (الله)، من مجد إلى مجد، كما من الرب الروح.» (٢كو٣: ١٨)

وواضح أن الصورة المعادة، تحمل السر الأدبي والأخلاقي للإنسان التقي، بإحساس الضمير الواعي الحي الملتزم بوصايا الرب، مع استنارة المعرفة، وانفتاح الذهن، والحكمة في القَطْع بين ما هو فاضل وما هو باطل، مع حرية إرادة منحازة إلى الله بلا جهد، وقدرة على الحكم والتدبير، بشبه الله، بإرشاد الروح القدس وعمله.

coptic-books.blogspot.com

وهكذا، بقدر استضاءة الإنسان في جهاده ووضعه الجديد مع الله، بقدر ما يدرك الإنسان مقدار الخراب والتدمير الذي حاق به بسبب رفضه إطاعة الله، وقبوله خدعة الشيطان من فم حيَّة، مع أنه أُعطي السيادة المطلقة على عالم الحيوان كله، كذلك بقبوله شهوة الأكل من الشجرة المحرَّمة، مع أنه أُعطي أن يسود بشهوته على كل حُسْنِ عالم النبات ولذَّته وجماله!!

وهكذا ذلَّل الإنسان نفسه تحت الخليقة التي أُعطي أن يسود عليها كممثلٍ لله، وكحاملٍ لصورته. وبسقوط الإنسان من رئاسته، قبلت الأرض اللعنة في عالميها ــ عالم النبات وعالم الحيوان ــ واشترك كلاهما: الإنسان والخليقة، في الألم والأنين ومخاض الموت، وبالتالي اشتركت الروح في الإنسان، والمادة فيه وفي الطبيعة، وتقاسما معاً جرحاً واحداً مميتاً. لهذا، أصبح كل ما يصيب الإنسان روحاً ونفساً، ينعكس على جسده؛ وكل ما يؤذي الجسد في الإنسان ينعكس على نفسه وروحه؛ وشفاء هذا يعتمد على شفاء ذلك؛ بل أصبح عالم النبات والحيوان شديد التأثُّر بحال الإنسان ارتفاعاً وهبوطاً من جهة الروح والتقوى: «فإني أحسب أن آلام هذا الزمان الحاضر، لا تُقاس بالمجد العتيد أن يُستعلن فينا. لأن انتظار الخليقة يتوقَّع استعلان أبناءِ الله. إذ أُخضعت الخليقة للبُطْل، ليس طوعاً، بل من أجل الذي أخضعها، على الرجاء. لأن الخليقة نفسها أيضاً ستُعتق من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله. فإننا نعلم أن كل الخليقة تئن وتتمخَّض معاً إلى الآن. وليس هكذا فقط، بل نحن الذين لنا باكورة الروح، نحن أنفسنا أيضاً، نئنُّ في أنفسنا متوقِّعين التبنِّي فداء أجسادنا.» (رو٨: ١٨ــ٢٣)

العنصر الدخيل بين الإنسان والله:

ومن وراء حديث الحية مع حواء والإفتراء على وصية الله لآدم، يتضح كل الوضوح، أن هناك عنصراً دخيلاً مفسداً دخل بين الإنسان والله، وبين الإنسان

coptic-books.blogspot.com

والخليقة، وزيَّف عليه الحقائق. هنا مضمرٌ مخلوق آخر، ليس من الخليقةِ الأرضية، لكنه ذو سلطان على الخلائق الأخرى، هو الذي دخل الحيَّة، وتكلم منها ليغوي الإنسان ويُسقطه، وهو ذو طبيعة غير مادية «رئيس سلطان الهواء» (أف ٢ : ٢)، ويمثِّل مجموعة أخرى من الجنود السمائية «أجناد الشر الروحية في السماويات» (أف ٦ : ١٢) التي عصت الله قديماً (١ بط ٣ : ٢٠) فسقطت كما سقط آدم، وإنما بصورة ما أخرى لا ندركها، واستقلّت عن الله «ولم تحفظ رئاستها» (يهوذا : ٦)، وهي إذ تعلم أن مآلها النهائي إلى الهلاك «حفظهم إلى دينونة اليوم العظيم بقيود أبدية تحت الظلام» (يهوذا : ٦)، تعمل جاهدة لتفسيد وتوسّع مجال إفسادها — أما الله، فبسبب قدرته الكلية واللانهائية فهو في اعتماده على قدرته على تغيير الإنسان، ترك الشيطان يمارس إفساده للإنسان بكل ما أوتي من قوة لأن نهايته معروفة لدى الله «الله لم يشفق على ملائكة قد أخطأوا بل في سلاسل الظلام طرحهم في جهنم وسلمهم محروسين للقضاء» (٢ بط ٢ : ٤). أما الإنسان فإنه يتحول إلى أفضل ويزداد حكمة ومعرفة إذا خرج من هذه التجارب وهو متمسّك بالله وصبر له، أي أن ترْك الله للإنسان هو اعتماد على حرية إرادته بما يكفل له الإنحياز إلى الله لو شاء، فيتلقفه الله ويضمُّه إليه. وواضح من الكتاب المقدس أن هذا المخلوق غير المادي المتزعم للأجناد السماوية الساقطة هو الشيطان المدعو «إبليس»، والمسمى أيضاً: «الحية القديمة» (رؤ ٢٠ : ٢) (التي كلّمت حواء).

***

coptic-books.blogspot.com

حركة الشيطان
كما ظهرت تجاه آدم

□ □ □

١ ــ الشيطان قوة عقلية :

واضح من قصة سقوط آدم ، أن الشيطان قوة عقلية استطاع أن يؤثر على تفكير الإنسان الأول (حواء ، ثم آدم) ؛ والطريقة التي تلاحم فيها مع عقل الإنسان تقوم أساساً على التشكيك في كلام الله ووصاياه ، إذ ابتدأ الشيطان يتكلم في ذهن حواء هكذا : «أحقاً قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة ؟» هنا المدخل الذي دخل منه الشيطان ، فهو يصطنع الكذب أولاً ليدرب الإنسان على الحوار، ثم يدخل من خلال الحوار إلى قول يمكن الشك فيه : «فقالت الحية للمرأة : لن تموتا ، بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر» . هنا كلمة «لن تموتا» تشكيك وتكذيب لقول الله ، فالواقع أنه ولو أنهما لن يموتا في الحال ، لكنهما ماتا بالفعل بعد زمن ، والأمر الثاني أن فيها مصيدة للإنسان ، وقع فيها ولم يعلم ، وهي «معرفة الخير والشر» .

صحيح أن الإنسان بعد أن كسر الوصية وأكل من الشجرة المحرَّمة ، انفتحت عيناه وصار كالله عارفاً الخير والشر، لكن معرفة الله للخير والشر شيء ، ومعرفة الإنسان لهما شيء آخر، فالله يعرف كل شيء ولكنه لا يسود عليه شيء ، لكن الإنسان إذ عرف الخير والشر انقسمت معرفته ولم يستطع أن ينحاز كلياً للخير، كما لا يستطيع قط أن يقف بينهما ، بل حتماً يسقط ، لأن إلحاح الشر وراءه قوة جاذبة

coptic-books.blogspot.com

هي قوة الشيطان التي تفوق قوى الإنسان الطبيعي، وهكذا سقط آدم...

٢ ــ الشيطان وتحريك الغرائز البشرية:

في الوقت الذي يمارس فيه الشيطان الحوار العقلي مع الإنسان، يهيىء الفرص، بكل ما أوتي من قوة، لتحريك غرائز الإنسان، حتى يحصره بين الإرادة والفعل معاً: «فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل، وأنها بَهِجة للعيون، وأن الشجرة شهية للنظر، فأخذت من ثمرها وأكلت». وهكذا استطاع الشيطان بإعطاء أجمل وأشهى صورة للأمور المشتهاة بأن يحرك الغريزة نحوها بصورة لا تقاوَم.

وهكذا تكمل عملية تضليل الإنسان إذا دخل في الحوار الفكري مع الشيطان. ويلاحظ أن الشيطان يستخدم الحوار الفكري، وليس التسلُّط، حتى لا يقع تحت ملامة الله، وكذلك يستخدم تحريك الغريزة من الداخل لكي تنهار الإرادة الحرة أمام الإغراء والغواية، فيحدث السقوط، دون أن يُجبِر الشيطان الإنسان على إتيان الخطيئة وعصيان الله؛ وهذا صار منهجه المستمر مع الإنسان: «من هو جاهل فليملْ إلى هنا، والناقص الفهم تقول له إن المياه المسروقة حلوة وخبز الخفية (المسروق) لذيذ، ولا يعلم أن الموت هناك، وضيوفها في أعماق الجحيم.» (أم٩: ١٧ ترجمة دقيقة).

وهكذا، في النهاية، يسيطر الشيطان ــ بمحض إرادة الإنسان ــ على الفكر والإرادة والعمل معاً. هذا هو مبدأ سقوطنا: وقوعنا تحت غواية الشيطان، ودخول الخطيئة على مستوى العصيان السافر لله، فكراً وعملاً وإرادةً!!

coptic-books.blogspot.com

الشيطان
كما وصفه الكتاب قبل السقوط

□□□

الفرق بين خلقة الملائكة وخلقة الإنسان:

بالنسبة للملائكة عامةً، نسمع أن الله خلقهم من نسمة فيهِ، لذلك فهم أرواح حاملة لإرادة الله خاضعة له كالتزام: «بكلمة الرب صُنعت السموات، وبنسمة فيهِ كلُّ جنودها» (مز٣٣: ٦). وهنا يظهر فارق كبير بين خلقة الإنسان وخلقة الملائكة، فالإنسان مكتوب عنه بكل دقة ووضوح وتكرار أنه خُلق ذكراً وأنثى، على صورة الله «على صورتنا كشبهنا». هذه الميزة تفتقدها كل الأجناد السماوية الروحية بكل أنواعها. هذه الميزة أعطت الإنسان فرصة النمو والترقِّي، لأن الصورة والشَّبَه بالنسبة لله هي حتماً على المستوى الأقل جداً؛ وبما أنها صورة حية لله فهي تتضمن بالضرورة الحتمية عنصر الترقِّي الذي يقوم على العنصر المشابه للخلق والإبداع عند الله والذي يعتمد على روح الله الذي نفخه في نفس الإنسان. فالإنسان له قدرة الخلق والإبداع المحدود، وذلك بتجميل صفاته الذاتية وتطويرها، سواء في نفسه أو في غيره لتزداد شبهاً لله بلا حدود: «ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب (الأصل الذي أُخذت عنه الصورة) بوجه مكشوف، كما في مرآة (الأصل أمام الصورة)، نتغير إلى تلك الصورة (الأصلية) عينها، من مجد إلى مجد، كما من الرب الروح (عنصر التغيير هنا هو أيضاً إلهي، أي الروح القدس).» (٢كو٣: ١٨)

دور الملائكة وطبيعة عملهم، وإمكانية عصيانهم:

أما الملائكة، فليسوا مخلوقين على صورة الله ولا على شبهه، فهم خليقة محددة لا

coptic-books.blogspot.com

تنمو ولا تتغير، وكل منها مخلوق على حدود عمله لا يتعداه. ولكن لأن نسمة القدير ــ التي هي الأصل الذي منه خُلقوا ــ كاملة الحرية، لذلك أخذت الخليقة الروحية، ضمناً، قدراً من الحرية لتحفظ رئاساتها وتلتزم بأماكنها بحرية؛ وكل حرية يعطيها الله لأيٍّ من مخلوقاته، إنما تكون في صميم طبيعة خلقته، و يترتب عليها حتماً إطاعة الله والخضوع له، التي يترتب عليها بالتالي المحاسبة والعقاب، على أن كل حرية في صميم معناها ومبناها ــ بالنسبة لأي مخلوق ــ تحتمل الخطأ والصواب، وإلا لا تُحسب حرية. فإذا استخدم الملاك حريته ليتعالى فوق حدوده، سقط حالاً في العصيان والتمرد. من هنا، ومن صميم طبيعة خلقة الملائكة، برز عنصر إمكانية عدم الطاعة لله، كإمكانية الطاعة تماماً، سواءً بسواء. وهذا يبرر و يؤكد و يشرح قول الكتاب: «إن كان الله لم يشفق على ملائكة قد أخطأوا...» (٢بط٢: ٤)، «والملائكة الذين لم يحفظوا رئاستهم، بل تركوا مسكنهم، حفظهم إلى دينونة اليوم العظيم» (يه: ٦). وهذا يشير بكل وضوح إلى أنه كانت لهم وظائف عامة وخاصة، مثل رعايتهم للأمم، فكل ملاك مكلَّف بقطاع أو مملكة، أو شعب، أو مدينة؛ بل نقرأ أن للأطفال ملائكة تحرسهم وترعاهم، كما عرفنا من فم المسيح نفسه: «أُنظروا لا تحتقروا أحد هؤلاء الصغار، لأني أقول لكم إن ملائكتهم في السموات كل حين ينظرون وجه أبي الذي في السموات» (مت١٨: ١٠)، وملائكة تختص بالناس: «فلما عرفَت صوت بطرس لم تفتح الباب من الفرح، بل ركضت إلى داخل وأخبرت أن بطرس واقف قدام الباب؛ فقالوا لها أنتِ تهذين، وأما هي فكانت تؤكد أن هكذا هو، فقالوا إنه ملاكه.» (أع١٢: ١٤و١٥)

الملائكة الذين سقطوا:

أما الترأس على الأراضي والأمم، فمثل ما جاء عن ملاك فارس وهو أحد

coptic-books.blogspot.com

الملائكة الساقطين: «ورئيس مملكة فارس وقف مقابلي واحداً وعشرين يوماً (المتكلم هنا هو الملاك جبرائيل)، وهوذا ميخائيل واحد من الرؤساء الأولين جاء لإعانتي» (دا ١٠: ١٣)؛ وكذلك ما جاء عن ملاك مملكة اليونان صاحب الأصنام: «...فالآن أرجعُ وأحارب رئيس فارس، فإذا خرجت هوذا رئيس اليونان يأتي» (دا ١٠: ٢٠)؛ وكما جاء عن الملاك المختار حامي أرض إسرائيل الذي كان يعمل تحت إمرة الرب نفسه ورئيس إسرائيل: «ولا أحد يتمسك معي على هؤلاء إلا ميخائيل رئيسكم.» (دا ١٠: ٢١)

هذا يوضح عمل الملائكة كجنود، سواء في عالم النور أو عالم الظلمة، والذي يُحدِث أحياناً تصارعاً مرعباً مخيفاً بين المملكتين: «وحدثت حرب في السماء، ميخائيل وملائكته حاربوا التنين، وحارب التنين وملائكته، ولم يقووا، فلم يوجد مكانهم بعد ذلك في السماء. فطُرح التنين العظيم ــ الحية القديمة ــ المدعو إبليس والشيطان الذي يضل العالم كله، طُرح إلى الأرض، وطُرحت معه ملائكته.» (رؤ١٢: ٧ــ٩)

وبطرس الرسول وبولس الرسول يصفانهم بأقسامهم، سواء التي في خدمتها المقدسة الصحيحة (٢بط ٣: ٢٢)، أو التي سقطت وصارت إلى عالم الظلمة: «فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة» (أف ١: ٢١)، «ما يُرى وما لا يُرى، سواء كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين.» (كو١: ١٦)

طبيعة واحدة غزتها الخطيئة وانتشرت فيها:

يلاحظ أن مواصفات عصيان الله وقبول مشورة الشيطان وإتمام الخطيئة بالفعل، قبلتها حواء ثم آدم على السواء، وإن كانت حواء هي التي أُغويت أولاً، لكن الأمر والوصية كانا موجَّهين إلى آدم؛ وهذا يكشف عن عمومية الخطيئة كفعل

coptic-books.blogspot.com

سريع الإنتشار مخرِّب، لا يترك أية قوة في الإنسان دون أن يؤثر عليها؛ فطبيعة كلٍّ من آدم وحواء واحدة، ونحن كلنا منها، فهي أصل واحد.

إن أصعب ما يواجه الإنسان في البحث عن مواصفات الخطيئة وأسبابها وحدودها، هو كونها تصدر عن فعلٍ حر، وحتى نتائجها تُعزى إلى إرادة فاعلة حرة؛ وهذا لا ينعكس طبعاً ـ كما قلنا سابقاً ـ على الخالق كأن هناك عيباً في الخلقة، بل على النقيض، فإن حرية الإرادة في فعل الخطيئة تكشف عن اقتدار إلهي في كيفية إبطالها عن حرية إرادة أيضاً، كما سنرى.

فالشيطان، إذن، أخذ إذناً منا أولاً بالدخول، وذلك بالإذعان إلى مشورته (عصيان الله) باقتراف الخطيئة التي هي من اختصاصه، بعد ذلك أُعطي فرصة ليملك بالفعل و يتسلط على الإنسان، أي على كافة قدراته وملكاته من فكر وخيال ومنطق وفلسفة ورؤيا وإرادة وعاطفة وأحاسيس، هذه يصبغها كلها بصبغة خاصة تُشتمُّ منها الخطيئة إذ تنتشر الخطيئة في طبيعته انتشاراً في كل ركن. لهذا ـ وهذا غريب حقاً ـ لا يشعر الإنسان الذي يمارس الخطيئة عن إدمان، بقوة الشيطان المتسلطة عليه، لأنه حينذاك لا يعود للإنسان ـ في طبيعته ـ رقيب خارج دائرة تأثير الشيطان، بل يفتخر الإنسان الخاطىء أنه حر ولا يرى شخصاً ولا أحداً في الوجود يؤثر عليه، وأنه بمحض إرادته واختياره الشخصي يتصرف، وهذا هو الوهم وعمى البصيرة الذي يصيب الشيطان به فريسته بسبب قدرته المخادعة في الإنتشار والتسلط على كل قوى الإنسان.

من أين أتت الخطية؟

لكن السؤال الذي يلح علينا هو: «ولكن، من أين أتت الخطيئة، وما هو مصدرها قبل آدم؟»

coptic-books.blogspot.com

معروف ــ كما قلنا قبلاً ــ أن الله خلق العالم حسناً، ولما خلق الإنسان فيه سيداً عليه، وجده «حسناً جداً»، ولكن هذا الإنسجام المتقن بين العالم والإنسان اهتز كيانه بعد عصيان آدم لأوامر الله، إذ لم تقع العقوبة على الإنسان وحده «موتاً تموت»، بل أصابت الأرض كلها، بكل ما فيها وعليها: «ملعونة الأرض بسببك»، أي عالم النبات وعالم الحيوان اللذان دخل فيهما الشيطان بمعصية آدم وحواء، وكذلك تراب الأرض وقدرته على الإنبات، وهذا يؤكده بولس الرسول بالروح قائلاً: «فإني أحسب أن آلام الزمان الحاضر لا تُقاس بالمجد العتيد أن يُستعلن فينا، لأن انتظار الخليقة يتوقع استعلان أبناء الله. إذ أُخضعت الخليقة للباطل، ليس طوعاً، بل بسبب الذي أخضعها (آدم) على الرجاء، لأن الخليقة نفسها أيضاً ستُعتق من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله. فإننا نعلم أن كل الخليقة تئنُّ وتتمخض معاً إلى الآن.» (رو٨: ١٨ــ٢٢)

وهكذا صارت الأرض تحت اللعنة والفساد والخراب والتخريب، بسبب خطيئة آدم. (١)

ولكن في السماء أيضاً وبين صفوف الجنود السمائيين، حدث قبل ذلك ــ كما ينص الكتاب المقدس ــ سقوط بين صفوفهم، وذلك قبل سقوط آدم. ولكن كيف أمكن ذلك، وما هو موقف الله تماماً؟ هذا أجاب عنه الكتاب المقدس، وإنما في غموض كثير.

---

(١) يلاحظ القارىء أن الله بعد أن خلق آدم: «وأخذ الرب الإله آدم ووضعه في جنة عدن ليعملها ويحفظها (يحرسها)». هنا كلمة «يحرسها» تكشف عن وجود عدو متربص ضد الإنسان، وضد الله أيضاً، وضد خيرات الأرض. هو الذي دخل في الحية دون أن ينتبه آدم، إذ لم يكن حارساً كما ينبغي!!

coptic-books.blogspot.com

الشيطان رئيس هذا العالم:

أما الشيطان فهو مُملَّك على جميع أقطار هذا العالم، كقول الرب نفسه: «الآن دينونة هذا العالم؛ الآن يُطرح رئيس هذا العالم خارجاً» (يو١٢: ٣١)، وأيضاً: «رئيس هذا العالم يأتي، وليس له فيَّ شيء» (يو١٤: ٣٠)؛ وأيضاً: «وأما على دينونة، فلأن رئيس هذا العالم قد دين.» (يو١٦: ١١)

ومعروف من حوار التحدّي بين الرب والشيطان، في وقت الصوم الأربعيني على الجبل، حين كان الرب وحده عندما جاءه الشيطان يعرض تنازله عن العالم للمسيح هكذا: «ثم أصعده إبليس على جبل عالٍ، وأراه جميع ممالك المسكونة في لحظة من الزمان، وقال له إبليس لك أعطي هذا السلطان كله ومجدهنَّ، لأنه إليَّ قد دُفع (وظيفته الأصلية التي أخذها من الله)، وأنا أعطيه لمن أريد؛ فإن سجدت أمامي يكون لك الجميع» (لو٤: ٥ــ٧). وواضح أن المسيح لم يعترض على ادّعاء الشيطان هذا، بل إن بولس الرسول يصفه بأن له السيادة على الهواء: «وأنتم إذ كنتم أمواتاً بالذنوب والخطايا التي سلكتم فيها قبلاً، حسب دهر هذا العالم، حسب رئيس سلطان الهواء، الروح الذي يعمل الآن في أبناء المعصية.» (أف٢: ١و٢)

ويلاحظ أن في نهاية أزمنة العالم، عند استعلان نصرة المسيح وغلبته الأخيرة، يعلن الكتاب: «ثم بوّق الملاك السابع، فحدثت أصوات عظيمة في السماء قائلة: قد صارت ممالك العالم لربنا ومسيحه، فسيملك إلى أبد الآبدين» (رؤ١١: ١٥)، مما يوضح أنها انتُزعت من ملك آخر كان متسلطاً عليها بغير وجه حق. إذن، فالرئاسة على هذا العالم وكل الأمم، ستظل قائمة في يد الشيطان (بصورة محدودة) إلى استعلان غلبة المسيح ونصرته الأخيرة عند مجيئه الثاني المخوف، لهذا نسمع أنه عند مجابهة الملاك ميخائيل للشيطان حين أراد الأول أخذ جسد موسى لإخفائه عن أعين الشعب ــ لئلا يعبدوه ــ هاجمه الشيطان بصفته المالك للأرض وما تحتها، فلم

coptic-books.blogspot.com

يستطع رئيس الملائكة مواجهته، لأن الشيطان صاحب هذا السلطان: «وأما ميخائيل رئيس الملائكة فلما خاصم إبليس محاجًّا عن جسد موسى، لم يجسر أن يورد حكم افتراء، بل قال: لينتهرك الرب.» (يه: ٩)

وحتى بعد الصليب والقيامة، واستعلان نصرة المسيح على الموت والخطيئة والهاوية، وغلبته على الشيطان وكل جنوده علناً إذ ظفر بهم على الصليب، بقي الشيطان حافظاً لسلطانه على العالم وإن كان قد هُزم أمام المسيح، وفقد سلطانه المطلق، وتكسَّرت أسلحته المريعة ــ أي الخطيئة ــ وسُلبت منه أسلابه ــ أي القديسون الذين كانوا تحت سلطانه في الهاوية ــ إلا أنه ظل محتفظاً بقدرته الشريرة على العالم، وعلى أبناء الشر الذين اختاروه لهم سيداً ومشيراً: «نعلم أن كل من وُلد من الله لا يخطىء (خطيئة للموت، لأن حكم الموت ألغاه دم المسيح) بل المولود من الله يحفظ نفسه، والشرير لا يمسه. نعلم أننا نحن من الله، والعالم كله قد وُضع في الشرير.» (١يو٥: ١٨و١٩)

و يؤكد بولس الرسول، أن الشيطان لا يزال محتفظاً بسلطانه إنما ليضرب به الذين لا يتمسكون بدم المسيح، أو يجهلون عمل الصليب: «لتفتح عيونهم كي يرجعوا من ظلمات إلى نور، ومن سلطان الشيطان إلى الله» (أع٢٦: ١٨)؛ «شاكرين الآب الذي أهَّلنا لشركة ميراث القديسين في النور، الذي أنقذنا من سلطان الظلمة، ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته» (كو١: ١٢و١٣)؛ «حسب رئيس سلطان الهواء، الروح الذي يعمل الآن في أبناء المعصية.» (أف٢: ٢)

والمسيح نفسه يعطينا فكرة واضحة ــ وإنما خطيرة للغاية ــ عن مدى اتساع سلطة الشيطان ومملكته: «فإن كان الشيطان يُخرج الشيطان فقد انقسم على ذاته، فكيف تثبت مملكته؟» (مت١٢: ٢٦). هنا يضع المسيح نفسه أمامنا صورة واقعية عن مدى سلطة الشيطان مخفية عن عيوننا تماماً ولكن مكشوفة لدى المسيح. وإنه لمذهل حقاً أن يكون للشيطان مملكة بحسب تعبير المسيح.

coptic-books.blogspot.com

سقوط الشيطان

□ □ □

يوضح لنا القديس يهوذا الرسول عصياناً جماعياً حدث من الشيطان وجنوده فيما قبل خلقة الإنسان: «والملائكة الذين لم يحفظوا رئاستهم، بل تركوا مسكنهم، حفظهم إلى دينونة اليوم العظيم بقيود أبدية تحت الظلام.» (يه ٦:)

ومعروف أن الشيطان كان يسمَّى فيما مضى «حامل النور» أو «نجمة الصبح» Lucifer ، هكذا يسميه إشعياء في نبوته ورؤياه التي رأى فيها الشيطان ساقطاً من السماء سقوط النجم المرتطم بالأرض، وهو في الحقيقة يصف المعركة التي أشار إليها دانيال النبي في (دا ١٠: ١٣): «كيف سقطت من السماء يا زهرة بنت الصبح، كيف قُطِعتَ إلى الأرض يا قاهر الأمم، وأنت قلت في قلبك أصعد إلى السموات، أرفع كرسيِّي فوق كواكب الله وأجلس على جبل الإجتماع [عرشي] في أقاصي الشمال. أصعد فوق مرتفعات السحاب، أصير مثل العلي، لكنك انحدرت إلى أرض الموت، إلى أسافل العالم السفلي.» (إش ١٤: ١٢ــ ١٥ ترجمة دقيقة)

فواضح من كلام إشعياء النبي أنه يتحدث عن صاحب قوة مخرِّبة عاتية تكبرت على الله وتعظمت، وشقَّت عصا الطاعة، فأُسقِط من السماء عنوةً بعد أن كان زاهراً كنجم مضيء!

من أجل هذا فإن المسيح يُدعى النور الحقيقي، لأن الشيطان أصبح حامل النور المزيَّف، فهو يستطيع أن يتراءى كملاك نور، لكنه نور غير حقيقي كاذب مضلل

coptic-books.blogspot.com

بحذق ومكر وخداع، يتوهم الذي يسير وراءه أنه سائر في النور حتى يرديه الهلاك.

فكما ترعد السماء وتبرق، و يصير البرق قوة صاعقة مخرِّبة، هكذا رآه المسيح: «رأيت الشيطان ساقطاً من السماء مثل البرق.» (لو١٠: ١٨)

سقوط الشيطان أحدث تخريباً على الأرض كلها:

هذا كله يوضح أن عصيان الشيطان قديماً أحدث انشقاقاً وتخريباً على الأرض: «وكانت الأرض خربة» (ومن غير المعقول أن يخلق الله ـــ أول ما يخلق ـــ أرضاً خربة. فالتخريب هنا يشير إلى عملية عدائية شريرة)، «وخالية» في عصور ما قبل الخليقة، «لأن إبليس من البدء يخطىء» (١يو٣: ٨) (كلمة «من البدء» تفيد ما قبل الزمن)، وصارت له مملكة مقاومة لله، بدأ يظهر لنا عملها بظهور آدم الذي حذره الله عندما وضعه في جنة عدن قائلاً له أن يحرسها!! واستمر الشيطان في حربه مع الملائكة بلا هوادة لعرقلة أعمال الله وخططه: «ورئيس مملكة فارس (الشيطان) وقف مقابلي واحداً وعشرين يوماً. وهوذا ميخائيل واحد من الرؤساء الأولين جاء لإعانتي، وأنا أُبقيت (مُنعت) هناك عند ملوك فارس (جنود وأعوان الشيطان)» (دا١٠: ١٣)، «...والآن أرجع وأحارب رئيس فارس.» (دا١٠: ٢٠)

هذا الأمر يوضحه لنا بولس الرسول بقوله: «... إلبسوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا أن تثبتوا ضد مكائد إبليس؛ فإن مصارعتنا ليست مع دمٍ ولحمٍ، بل مع الرؤساء، مع السلاطين، مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر، مع أجناد الشر الروحية في السماويات. من أجل ذلك احملوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا أن تقاوموا في اليوم الشرير. وبعد أن تتمموا كل شيء أن تثبتوا.» (أف٦: ١٠ـــ١٣)

coptic-books.blogspot.com

وهكذا يتحقق أمامنا أن وراء تاريخ الخلاص منذ آدم حتى اليوم صراع هائل وحروب مروعة ضد قوات الشيطان، سواء من المسيح قبل التجسد أو جميع الملائكة المقدسين أو رجال الله الأتقياء في كل العصور، القديم منها والجديد، أحياناً نلمحها بسهولة وعلانية، وأحياناً نجدها تحت التيار تتلاطم بعنف، لا يظهر منها سوى الأمواج العاتية التي بلغت أوجها أمامنا عند الصليب.

وهكذا لم يُعطَ لنا أن نعرف عن أسرار صراع القوات الروحية المقدسة ضد مملكة الشيطان، إلا اليسير جداً، إذ جُعلت ضمن أسرار الله: «السرائر للرب إلهنا، والمعلّنات لنا ولبنينا إلى الأبد.» (تث ٢٩ : ٢٩)

الشيطان مبدأ الخطية ومصدرها:

ولكن الذي ينبغي جداً أن نلتفت إليه، أن الشيطان كقوة مخربة يقف وراء كل الشرور والمصائب التي أصابت الإنسان. هذه الحقيقة لا يمكن التقليل من شأنها أو تجاهلها، فإن الإنجيل كله ــ بل مجيء المسيح وكرازته وتعاليمه حتى الصلب والموت ــ قائم أساساً على مجابهة هذه القوة.

صحيح أن الشيطان سقط من السماء، ولكن ذلك هو مجرد إخلاء من سلطانه ومكانه في السماء، ليعمل على الأرض كقول سفر الرؤيا. وهو وإن كان قد هُزم في حروب سماوية ومجابهات مع ملائكة وقديسين، وظفر به المسيح على الصليب، إلا أنه لا يزال، بما تبقى له من ذكاء ودهاء وخداع ومكر وغش ــ «لأننا لا نجهل أفكاره» (٢كو ٢ : ١١) ــ يستطيع وهو بلا قوة أن يُسقِط في فخاخه أقوى القديسين إذا انحرفوا عن المسيح!! «(الأسقف) غير حديث الإيمان لئلا يتصلف فيسقط في دينونة إبليس، ويجب أيضاً أن تكون له شهادة حسنة من الذين هم من خارج، لئلا يسقط في تعيير وفخ إبليس» (١تي ٣ : ٦و٧). ومن عصيان هذه الأجناد السماوية

coptic-books.blogspot.com

الشريرة مع الشيطان رئيسهم، واستقلالهم، كقوة هائلة ذات مملكة ورئاسات وسلاطين وأجناد، ووقوفهم من الله موقف الخصم المعاند، يتضح لنا بكل جلاء أن الخطيئة كعنصر فعّال في العالم، إنما أُوجدت بواسطة الشيطان قبل خلقة آدم: «إن كان الله لم يشفق على ملائكة قد أخطأوا، بل في سلاسل الظلام طرحهم في جهنم وسلمهم محروسين للقضاء» (٢بط ٢: ٤). فالخطيئة لم تنشأ في الإنسان بواسطة الإنسان، لكنها أُقحِمت عليه كفعل هو أصلاً من صنع الشيطان مخالف لطبيعة الإنسان، لكن الإنسان قبِله من الشيطان بدافع حريته في الإختيار رغم أن الله حذَّره من العاقبة!

هذا هو مبدأ الخطية ومصدرها!...

قدرة الإنسان على التوبة سهل للغاية في البداية:

والآن نوضح أكثر أن قدرة الإنسان على التوبة والتخلص من سلطان الخطية سهل للغاية في البداية حينما يستيقظ الضمير.

هذا يكون دائماً في البداية، ولكن حين يستسلم الإنسان تماماً للخطيئة، يبتدىء يحس أنه غير قادر على الخروج منها. فإذا ابتدأ يقاوم، يواجه الشيطان نفسه فيحس وكأنه قد ابتلعه، و يكتشف أكثر فأكثر أنه مدفوع بقوة تفوقه لعمل الشر، وأنه لا يملك إرادته، وهذا هو الوهم والكذب الذي يقنع به الشيطان فريسته حتى يكف عن محاولات التوبة والتخلص من الخطية.

وهذا يكشف عن حذر الشيطان الفائق في كيفية الدخول في البداية، ثم استخدام الكذب والخداع مع الإنسان ليتملك عليه. هكذا وبهذا الأسلوب المخادع يستطيع الشيطان أن يؤثر في الإرادة والفكر والغريزة معاً إلى الدرجة التي يبدو فيها للإنسان الطبيعي أنه من المستحيل أن يتخلص من الخطيئة، أية خطيئة، لأنها

coptic-books.blogspot.com

تصبح وكأنها جزء مكوّن لطبيعة الإنسان.

لهذا أصبح لا يوجد أي إمكانية في العالم ولا أي عبقرية تستطيع أن تحدد حجم الخطيئة وانتشارها في القوى الطبيعية للإنسان، أو أن تحدد جذورها وتفرُّعاتها وآثارها التي تبدو أنها مدمِّرة فعلاً. فقط يبقى للإنسان قوة ليست منه، بل هي من نفخة الله «الضمير» الذي يمكن أن يستيقظ من حين إلى حين، ليرى بعينيه مدى الدمار الذي يحيط به، وهذا يشير إلى أن كل قوة الخطيئة، والشيطان معها، لا تستطيع أبداً أن تمحو تماماً صورة الله من الإنسان، هذه الصورة النبيلة التي يمثلها الضمير.

الضمير ممثل للعنصر الإلهي في الإنسان:

و يلاحظ أن الضمير، وهو الممثل للعنصر الإلهي في الإنسان، قد يرضخ هو الآخر لفعل الخطيئة أيضاً مرغماً، إذا كانت قياساته الأدبية والروحية التي تَرَبى عليها ضعيفة، أو بسبب اهتزازه أمام شدة المؤثر أو المفاجأة الشيطانية المدبَّرة، هنا رضوخ الضمير يكون خطراً جداً على الإنسان، لأن ذلك يُدخله بإرادته في حالة عبودية مقيَّدة للخطية والشيطان: «من ينقذني من جسد هذا الموت.» (رو٧: ٢٤)

كما يهمنا أن ننتبه إلى أن أصل الخطيئة فعلاً ليس بدون محرِّك، أي أن الشيطان هو القوة المشخَّصة المحرِّكة للخطيئة، لدرجة أنه قد نهمل الشيطان في تسلسل أفكارنا، فنقول إن الخطيئة غرَّتني أو غلبتني، أو استعبدتني، ولكن الحقيقة أن الشيطان هو الذي يختبىء وراء الفعل.

مدخلان للشيطان لإسقاط الإنسان:

كذلك يلزم أن ننتبه إلى أن المدخلين اللذين يدخل منهما الشيطان هما الفكر والغريزة: الفكر ــ عن طريق الحوار الحر والمندسّ فيه التشكيك في الله كالسم،

coptic-books.blogspot.com

والغريزة ــ بأن يُلهبها فوق ما رُسِمت له، وفوق أصولها وحدودها الطبيعية، لتخضع لعمل خارج عن اللياقة والوصية.

هكذا عند توصيف الخطيئة، لا يصح أن نجرِّدها من صانعها الأصلي، كما يلزم مواجهتها في كلٍّ من مدخليها: الفكر، والغريزة.

علماً بأن طبيعة الخطيئة كفعل، لا وجود لها خارج الإنسان، ولا جوهر لها، فجوهرها هو العدم!! فهي من صُنع الشيطان ولكن بالإنسان توجد، وتتشخَّص وتعيش وتتفرَّخ. كذلك فإن عملها لا يمكن حصره داخل الإنسان، فهي تشمل الكيان الطبيعي والشخصي للإنسان برُمَّته، وإنما على درجات؛ وهي قد تزيد إلى الدرجة التي فيها تحرق الإنسان، وتحترق معه، لأن الخطيئة فعل مصغَّر للموت.

وخطيئة الجسد غير خطيئة النفس، فالجسد تتمركز خطاياه في خروج الشهوة فيه عن ندائها الطبيعي وغايتها المقدسة. وأهم أنواعها هي شهوة البطن، وشهوة الزنا، وشهوة العيون، وتعظُّم المعيشة أي البذخ وحب الراحة.
أما خطيئة النفس فتتمركز في القوة الغضبية، وحركة العداوة، والحسد، والضجر، وتزكية الذات، أي الإفتخار والعظمة.

والعجيب حقاً أن أخطر هذه المصادر المولِّد للخطية هو شهوة الزنا، فإذا تتبعنا أي خطيئة نجدها امتداداً متلاحقاً من شهوة الزنا، إما مباشرةً أو بطريق غير مباشر. فإذا أُقمِعت شهوة الزنا تماماً، كفَّ الجسد بل وكفَّت النفس عن الإنفعال المولِّد للخطيئة.

الخطيئة فعل ممتد متصل بالشيطان مصدرها ومبدأها:

لذلك، فالخطأ الشنيع الذي نقع فيه، سواء بإرادتنا أم مغلوبين على أنفسنا،

coptic-books.blogspot.com

أننا عندما نخطىء نتوهم أن الخطيئة مجرد فعل خطأ، أو مجرد خطيئة محدودة، أي مجرد حدث محصور وقع وانتهى، ولا نعبأ لا بسر الحركة التي كانت وراءه ولا الخطيئة الأم المتسلسل منها هذا الفعل بل ولا نهتم بما يؤول إليه كنتيجة حتمية، علماً بأن الخطيئة حينما نكملها بإرادتنا نكون قد سمحنا بتكميل مسلسل ذي صلة رسمية بيننا و بين الشيطان، يدخل بمقتضاها ليخرب بتأثير ممتد وعميق في اللاشعور والأعصاب، والذاكرة والعاطفة، ويخط في التكوين البيولوجي الحيوي للإنسان خطوطاً قد تصل إلى التأثير الوراثي، و بتراكمها تأتي الشيخوخة والإضمحلال والموت.

والخطيئة ليست فعلاً تاماً منحصراً يبدأ و ينتهي في فترته الزمنية وحسب، بل هي فعل ذو امتداد غير منظور، لأن الخطيئة تولِّد خطيئة، إما مماثلة لها أو مترتبة عليها. فالذي يحقد يظل يحقد، وقد يتطور أمره إلى العداء، والعداء إلى تعدٍّ، وهكذا. وإذا تكررت الخطيئة ولَّدت في السلوك نوعاً من العادة، و بالتكرار المتواتر تصبح الخطيئة لوناً من ألوان أنشطة الطبيعة ربما لا يحسها الإنسان. فالذي يعتاد الكذب بعد مدة طويلة لا يحس أنه يكذب؛ والذي يسرق كذلك؛ فللخطيئة قدرة على التسلل إلى النشاط الطبيعي في الإنسان، وهي تتداخل في الغرائز لتلوثها بلونها الأسود. هذا كله يحسه الإنسان إثر يقظة الضمير، بعامل من عوامل الرحمة الإلهية، و بالدعوة إلى الخلاص والفكاك من العدو الذي يكون قد احتل النفس وخرَّب فيها بأقصى ما يستطيع. وهكذا نكتشف أن الخطيئة مشخَّصة بالشيطان، الذي يولِّدها في الإنسان ويحركها، هي عدو حقيقي للإنسان يعمل على اضمحلال قدراته ومواهبه، ويحاربه في كافة المجالات دون أن يشعر هو بأي حرب، كإنسان فقد قوة الإبصار تماماً:

«فأقول هذا وأشهد في الرب أن لا تسلكوا فيما بعد كما يسلك سائر الأمم أيضاً

coptic-books.blogspot.com

(بدون الناموس) ببُطل أذهانهم؛ إذ هم مظلمو الفكر ومتجنِّبون عن حياة الله لسبب الجهل الذي فيهم بسبب غلاظة قلوبهم، الذين إذ هم قد فقدوا الحس أسلموا نفوسهم للدعارة ليعملوا كل نجاسة في الطمع.» (أف ٤: ١٧ــ١٩)

فالخطيئة، في تشخيصها النفساني والعقلي والروحي، هي أكثر من كونها جهلاً: «فالله الآن يأمر جميع الناس (بما فيهم أنا وأنت) في كل مكان أن يتوبوا متغاضياً عن أزمنة الجهل» (أع ١٧: ٣٠)، «...فرئيس الكهنة فقط، مرة في السنة، ليس بلا دم يقدمه عن نفسه وعن جهالات الشعب» (عب ٩: ٧)؛ كذلك فإن الخطيئة هي أكثر من كونها انهزاماً وزلّة وعثرة: «فأقول ألعلهم عثروا لكي يسقطوا، حاشا، بل بزلتهم صار الخلاص للأمم لإغارتهم» (رو ١١: ١١)؛ وهي أكثر من سقوط في أعمال مميتة أو في الموت ذاته: «وأنتم إذ كنتم أمواتاً بالذنوب والخطايا (أحياكم).» (أف ٢: ١)

إنما الخطيئة بالدرجة الأولى، هي تحريض مستتر من الشيطان بقوة ودهاء لعصيان الله نفسه، مع سبق إصرار. وهكذا انتقل الشيطان من دائرة آدم إلى كل بني آدم، يكرر الغواية والضلال لعصيان الله بنفس القياس: «لأنه كما بمعصية الإنسان الواحد جُعل الكثيرون خطاة...» (رو ٥: ١٩)، وكان هذا قمة انتصار الشيطان. والخطيئة أيضاً هي تعدٍّ صارخ على أمر واضح صريح من الله: «لأنه إن كانت الكلمة التي تكلم بها ملائكة (الناموس) قد صارت ثابتة، وكل تعدٍّ ومعصية نال مجازاة عادلة...» (عب ٢: ٢)، و«...كل من يفعل الخطيئة، يفعل التعدي أيضاً، والخطيئة هي التعدي.» (١ يو ٣: ٤)

بالناموس معرفة الخطية:

وهذا يكشف أن الناموس وُضع ليكون هو الحد الإلهي الذي وضعه الله

coptic-books.blogspot.com

للشعب، كحدٍّ من نار، كل من يتعداه يحترق به، وذلك لكي تظهر الخطيئة أنها قاتلة. فالذي حدث هو أن الناموس كان كمرآة يرى فيها الإنسان خطاياه، ومعها تحذير الموت لو تم التعدي. كان ذلك كله، ليس فقط لمحاصرة الخطيئة، بل أيضاً لمحاصرة الشيطان وسد منافذه التي يفتحها على الإنسان. وليكن في علمنا تماماً، أنه بدون هذه الحدود التي وضعها الناموس، أي وصايا الله في العهد القديم، كيف يعرف الإنسان أنه أخطأ؟ ومن ذا يزجره و يرعبه إن هو أخطأ؟ «لأن بالناموس معرفة الخطيئة» (رو٣: ٢٠)؛ «إذ حيث ليس ناموس، ليس أيضاً تعدٍّ.» (رو٤: ١٥)

كما أن الناموس كان بالنسبة للإنسان مرآة أخرى يرى فيها أصابع الشيطان كيف تدفعه إلى التعدّي ثم الموت!! «لأن الخطيئة لا تُحسب إن لم يكن ناموس» (رو٥: ١٣). من هنا يظهر الناموس كضابط وفاضح لغواية الشيطان وضلالته، إنما بصورة غير مباشرة، هذا ما يقرره بولس الرسول: «ولكن الخطيئة وهي متخذة فرصة بالوصية (الناموس) أنشأت فيَّ كل شهوة... فالآن لست بعد أفعل ذلك أنا، بل الخطيئة الساكنة فيَّ... فإن كنت ما لست أريده إياه أفعل، فلست بعد أفعله أنا بل الخطية الساكنة فيَّ.» (رو٧: ٨و١٧و٢٠)

هنا بولس الرسول يشخِّص الخطيئة كأنها عدو له عقل وتفكير، ودهاء وسلطان، متصل اتصالاً مريباً بالغرائز البشرية.

وفي موضع آخر، يصف بولس الرسول الخطيئة كأن لها قوانين ونواميس تعمل بها ضد قوانين ونواميس العقل والمنطق والضمير، هكذا: «لكني أرى ناموساً آخر في أعضائي يحارب ناموس ذهني، و يسبيني إلى ناموس الخطيئة الكائن في أعضائي» (رو٧: ٢٣). إلى هذا الحد استطاع بولس الرسول أن يضع يده على طبيعة الخطيئة

coptic-books.blogspot.com

ونـاموسها الذي إذا سكن الأعضاء تملّكها، وصار كأنه عدو ساكن داخل الإنسان يحـارب عـقله وفكره الحر ومنطقه المعتدل، و يغلبه و يسلبه إرادته و يسبيه و يُخضعه لمشيئة الخطيئة ولذتها العاملة في الأعضاء.

ناموس الذهن هو الضمير الحر:

واضـح هـنـا أن نـامـوس الـذهـن، وهو غير ناموس موسى أيضاً بل منبثق منه، و يـقـصـد به بولس الرسول الضمير الحر، صوت الله في الإنسان، الذي لا يزال يفرز الخـطيـئـة و يـقـاومـها ولكن في ضعف وانغلاب، لكن الضمير يشهد على نفسه أنه صوت الله الحافظ لناموس الله، كونه يستطيع أن يرى الخطيئة في غيره و يدينها.

فـطـالما يـستطيع الإنسان أن يدين غيره فيما يخطىء فيه، فهذه علامة أكيدة أنه مـدرك لـنـامـوس الله، وأنه بمقتضاه يقع تحت الدينونة عينها مهما تغاضى عن الخطيئة التي فـيـه، والتي ارتـضـى أن يعايشها: «أفتظن هذا أيها الإنسان الذي تدين الذين يفعلون مثل هذه وأنت تفعلها، أنك تنجو من دينونة الله؟» (رو٢: ٣)

هـنـا الضمير واضح أنه يشهد لله، حتى ولو كان غير قادر أن يدين نفسه، فالذي يـشـاهـد خـطيئة غيره ويحكم عليها أنها خطيئة، يشهد لله على نفسه، هذه هي خلقة الإنـسـان، فـهـو شـاهـد لله حتى ولـو لم يـشـهـد على نفسه، لأن الله وضع رؤيته في الإنـسـان بـصورة مستترة، فالله ظاهر للإنسان وإنما في الضمير بطريق غير مباشر وفي المـنـظـورات مـن خـارج، وعـلـيه أن يترجم هذه الشهادة لنفسه، وعلى نفسه: «إذ مـعرفة الله ظاهرة فيهم، لأن الله أظهرها لهم، لأن أموره غير المنظورة تُرى، منذ خلق الـعـالم، مـدركةً بالمصنوعات، قدرته السرمدية ولاهوته» (رو١: ١٩و٢٠). وهكذا أظـهـر الله ذاتـه لـلإنـسـان في داخـلـه وفي خـارجه! في داخله بالضمير، وفي خارجه بـالخـلـيـقة التي تنطق بقدرته السرمدية ولاهوته! فأي عذر للإنسان إذا هو خرج عن

coptic-books.blogspot.com

طاعة الله؟ الداخل يشهد ضده، والخارج يشهد عليه!!

على هذا الأساس يعتمد يوحنا الرسول في رسالته، معتبراً أن شهادة الضمير تصريح للدخول إلى الله الحي للصلاة والسؤال والطلبة المستجابة: «أيها الأحباء، إن لم تَلُمْنَا قلوبنا، فلنا ثقة من نحو الله، ومهما سألنا ننال منه لأننا نحفظ وصاياه، ونعمل الأعمال المرضية أمامه.» (١يو٣: ٢١و٢٢)

لذلك، كان اهتمام الله الأول بالنسبة للإنسان الذي وقع تحت سلطان الشيطان، ودخلت الخطيئة طبيعته، ونال حكم الموت الروحي الذي اعتبره الإنسان بطول المدة كأنه قَدَره مع أنه عقوبة قابلة لإعادة النظر وقابلة للعفو. لذلك، فإن أول شيء عمله الله لإصلاح ميزان ضمير الإنسان أن وضع له قانوناً فاصلاً بين الخطيئة والبر، وهو الناموس، وكان عمل الناموس الأساسي أن يعرِّف الإنسان بالخطيئة أنها خاطئة جداً، وإلا إذا لم يكن الإنسان يعرف شناعة الخطيئة فكيف يطلب الخلاص أو يفهم الفداء أو يطلب بر الله؟؟ كذلك كان عمل الناموس هو تقريب الإنسان إلى الله، وغرس بغضة الخطيئة في نفسه وتسليحه ضد سلطان الشيطان، وذلك عن طريق المعرفة. فاهتم الناموس بأن يضع أعمالاً في حكم الخطيئة، فإذا تعدَّى الإنسان الوصية نال عقوبة الموت رجماً، تماماً كإعادة تجربة آدم وحواء... وهكذا بدأ الإنسان يدرك من جديد أن مخالفة أوامر الله عقوبتها الموت بيد الإنسان نفسه.

لذلك، أجمل بولس الرسول فائدة الناموس هكذا: «بالناموس معرفة الخطية». فلولا الناموس، ما كان قد عرف الإنسان ما هي الخطيئة، وبالتالي ما كان قد عرف لزوم التوبة وطلب البر والتقوى: «فماذا نقول، هل الناموس خطية، حاشا، بل لم أعرف الخطية إلا بالناموس؛ فإنني لم أعرف الشهوة (أنها خطيئة) لو لم يقل

coptic-books.blogspot.com

الناموس لا تشتهِ» (رو٧: ٧). وهكذا أيقظ الناموس الوعي البشري بالخطيئة، التي هي السبب في موت الإنسان وحرمانه من الحياة الأبدية مع الله.

و يلاحظ القارىء أن المدة بين الوعد بالبركة لكل الأمم، [أي عودة الإنسان عامةً إلى الله، تلك التي أُعطيت لإبراهيم ولكن ليس له شخصياً بل لنسله (مفرد)] حتى مجيء الناموس، هي ٤٣٠ سنة، كان الله يعدُّ له فيها شعباً من نسل إبراهيم هذَّبه بالآلام، وجعل إنقاذه من العبودية ملازماً لإعطائه الناموس، إشارة قوية بليغة أن لا عودة إلى الحرية الروحية إلا بإطاعة قانون الله (الناموس).

ثم ظل الشعب محاصَراً بالناموس محجوباً عن باقي أمم العالم مدة ١٥٠٠ سنة، لكي تتأصل عينة من الإنسان (شعب الله ـــ إسرائيل) في التأدُّب بأدب القانون الإلهي (الناموس)، و يتخلَّق بأخلاق شعب يصلح أن يستقبل الله في وسطه (عمانوئيل).

المسيح غاية الناموس:

وهكذا جعل الله الناموس بمثابة المعلم والمؤدِّب الذي عليه أن يبلِّغنا إلى المسيح: «إذن كان الناموس مؤدِّبنا إلى المسيح، لكي نتبرر بالإيمان» (غل٣: ٢٤). وهكذا استطاع الناموس في مدة ١٥٠٠ سنة، أن يعطينا عينة بشرية مثل إبراهيم، ولكن على مستوى عام كشعب. وكأنما الناموس كان عملاً إضافياً خارجاً عن المنهج، لأن إبراهيم كان على مستوى الناموس بل وأعلى، في الروح والبساطة والإيمان. و يقول الكتاب إن الناموس «زيادة»، أو «قد زيد» (غل٣: ١٩). زيد على ماذا؟ زيد على الوعد الذي كان لإبراهيم. لماذا؟ يقول الكتاب أن ذلك كان بسبب كثرة التعديات، أي بسبب ضعف الحساسية الروحية وعدم الوعي بخطورة الخطيئة. أي أن وظيفة الناموس الأولى هي أن يضخم مفهوم الخطيئة

coptic-books.blogspot.com

وأثرها بعقوبة لا ترحم: «على فم شاهدين أو ثلاثة شهود يُقتل بدون رأفة» (تث١٧: ٦؛ عب١٠: ٢٨)، أو بمعنى آخر جعل كراهية الخطيئة في أنف الإنسان ليل نهار بلا استثناء. لماذا، لماذا؟؟ لكي يطلب الإنسان الخلاص، و يسعى وراء فاد: «لكن الكتاب أغلق على الكل تحت الخطيئة (بالناموس)، ليعطى الموعد من إيمان يسوع للذين يؤمنون. ولكن قبلما جاء الإيمان (بالمسيح) كنا محروسين (محاصَرين) تحت الناموس، مغلَقاً علينا إلى الإيمان العتيد أن يُعلن.» (غل٣: ٢٢ و٢٣)

أي أن الناموس كان مؤدِّباً ومعلماً قاسياً، وكأنما حاصر الإنسان في سجن هو سجن الخطيئة، حتى عافت نفسه الخطيئة. لذلك فهو معلم وقتي: «لكن بعد ما جاء الإيمان (بالمسيح) لسنا بعد تحت مؤدِّب، لأنكم جميعاً أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع.» (غل٣: ٢٥ و٢٦)

أي أن غاية الناموس هي المسيح، لذلك كان الناموس بكل دقائقه ــ سواء التعليمية أو الطقسية ــ يشير بالروح و بالرمز و بالكلمة والفعل إلى المسيح، منتقلاً من الخطيئة إلى كيفية الخلاص منها: «وأما الناموس فدخل لكي تكثر الخطيئة (شناعة وخطورة)، ولكن حيث كثرت (خطورة) الخطيئة، ازدادت (القناعة بضرورة) النعمة جداً، حتى كما ملكت الخطيئة في الموت، هكذا تملك النعمة بالبر للحياة الأبدية بيسوع المسيح ربنا.» (رو٥: ٢٠ و٢١)

ولكن بنظرة واحدة إلى إيمان إبراهيم، نتيقن أن الناموس لم يستطع أن يضيف على إيمان الإنسان بالله ولا قيد شعرة عما كان لإبراهيم: «أيها الإخوة، بحسب الإنسان أقول ليس أحد يُبطل عهداً قد تمكَّن ــ ولو من إنسان ــ أو يزيد عليه. وأما المواعيد فقيلت في إبراهيم وفي نسله. لا يقول «وفي الأنسال» كأنه عن

coptic-books.blogspot.com

كثيرين، بل كأنه عن واحد: وفي نسلك، الذي هو المسيح. وإنما أقول هذا إن الناموس الذي صار بعد أربعمئة وثلاثين سنة، لا ينسخ عهداً قد سبق فتمكن من الله نحو المسيح حتى يُبطل الموعد، لأنه إن كانت الوراثة من الناموس، فلم تكن أيضاً من موعد، ولكن الله وهبها لإبراهيم بموعد.» (غل٣: ١٥ــ١٨)

وهنا يسأل سائل: فلماذا الناموس؟ هنا أيضاً نعود لنقول إن إيمان إبراهيم كان يعوزه توضيح خطورة الخطيئة وتحديد أوصافها وكشف فعلها القاتل والمفسد للضمير، بل والقادر على إضعاف الإيمان وإبطاله!! كما أن إيمان إبراهيم يعدُّ حقيقة بالفادي ولكن لم يرسِّخ في الضمير شدة الحاجة إليه. لقد أشار إلى الجلجثة من بعيد، لكنه لم يوضح كونها الحل الوحيد والرجاء الذي عليه يتوقف إعطاء الإنسان حياة جديدة. فالناموس يقف عند الفصل بين الخطيئة والبر، لكنه لا يستطيع أن يبرر الخاطىء أو أن يرفع الخطيئة وعقوبتها الأصلية، أي الموت بمعنى الهلاك الذي هو الإنفصال عن الله. كما أظهر الناموس بكل وضوح و بشهادة الأجيال أن: «الجميع زاغوا وفسدوا معاً، ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد... الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله» (رو٣: ١٢ و٢٣). وهكذا جاءت في النهاية شهادة بولس الرسول ــ وهو الفريسي الحافظ لكل قواعد الناموس ــ هكذا: «بأعمال الناموس لا يتبرر كل ذي جسد، لأن بالناموس معرفة الخطيئة.» (رو٣: ٢٠؛ غل٢: ١٦)

إذن، بعد أن أدى الناموس دوره، واستنفذ كل طاقته في تهذيب الإنسان: «إذن، قد كان الناموس مؤدِّبنا إلى المسيح، لكي نتبرر بالإيمان» (غل٣: ٢٤)، أصبح واضحاً أن الحاجة إلى الخلاص ليست هي أكثر من معرفة الخطيئة وأكثر حتى من مغفرة الخطايا فحسب، بل الحاجة الحقيقية إلى من يرفع قوة الخطية من الطبيعة البشرية التي تعمل في الإنسان منذ آدم؛ أو بالحري إلى مَنْ يُبطل قوة الشيطان و يُبيد سلطانه، ويحرر إرادة الإنسان وفكره وحواسه وغرائزه، بما يكفل له حياة

coptic-books.blogspot.com

سعيدة مع الله بلا ضمير منفعل بالخطيئة، ثم يلغي سلطان الموت القهري كفعل هلاك صدر ضد الطبيعة البشرية ككل، (لأن الخطيئة — وبالتالي الموت — تسربت من آدم إلى كل أولاده)، ويعيد للإنسان حق الحياة الأبدية مع الله، تلك التي فقدها بالتعدي، أي يعيد إليه جمال وجلال بهاء الصورة الأولى — ذات الضمير غير المثقل بالخطيئة — التي خُلق عليها، والتي هي فخره:

— «لأن فخرنا هو هذا، شهادة ضميرنا، أننا في بساطة وإخلاص الله، لا في حكمة جسدية، بل في نعمة الله تصرفنا في العالم» (٢كو١: ١٢)؛

— «فكم بالحري يكون دم المسيح، الذي بروح أزلي قدم نفسه لله بلا عيب، يطهر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي.» (عب٩: ١٤)

الخلاص بالمسيح عبر الناموس:

لكننا في النهاية، وبالرؤية الواقعية، نجد أن الوعد لإبراهيم بالإيمان، كان لا يمكن أن يتحقق في المسيح إلا عبر الناموس!! لأنه ماذا ينتفع الخاطىء من وعد إبراهيم، وهو واقع تحت لعنة الخطيئة؟ ولكن وفي نفس الوقت، يقف في الأهمية القصوى للخاطىء، بركة إبراهيم بعد رفع لعنة الناموس. والمسيح لما جاء، جاء ليحقق الوعد الإلهي لإبراهيم، الذي قبله بالإيمان، ولكن بعد أن حمل المسيح عنا ما كان يحجز البركة، أي لعنة الناموس، وذلك في جسده على الصليب. وهكذا حصلنا على بركة إبراهيم بعد أن رُفعت لعنة الخطيئة وحكم الموت. وواضح جداً، أن بدون لعنة الخشبة (الصليب) وحكم الموت على الجلجثة — التى تفكُّنا نهائياً من الناموس — ما كنا قد حصلنا على بركة إبراهيم، أو بالحري على شركة الإيمان بالله في المسيح يسوع.

وهذا يفسر لنا أكثر كلمة «أن الناموس قد زيد»، فالزيادة هنا تعني إضافة أساسية وهامة على الوعد، وإلا قَصُر الوعد عن تحقيق نفسه!! فإبراهيم يعطي لنا من

coptic-books.blogspot.com

خبرته مع آبنه إسحق معنى القيامة والحياة، لكن لا ننسى أنها حياة من بعد موت كحكم حتمي؛ فإسحق لو لم يقدَّم للموت تماماً وطواعيةً، منه ومن أبيه، لما حُسب إيمان، ولما قام ووهب الحياة. وهكذا حتى في الوعد لإبراهيم بالإيمان للحياة بالله ولنوال البركة، كانت اللعنة هكذا مضمَرة في السكين، أي الصليب والموت، أي أن الناموس كان مضمَراً في بركة إبراهيم!!

ولكي يرسخ في ذهن القارىء ما هي خطورة الناموس، باعتباره حاملاً معيار الخطيئة ولعنتها وعقوبتها بالموت، نسمع الرب نفسه كيف يضع الخلاص من الخطيئة من جهة الأهمية، قبل البحث عن البركة والحياة، هكذا: «لقد كمل الزمان واقترب ملكوت الله، فتوبوا وآمنوا بالإنجيل» (مر١: ١٥)؛ وهكذا يضع المسيح تقييم الخطيئة بالتوبة أولاً، قبل تقييم الحياة الأبدية بالبشارة المفرحة (الإنجيل).

لذلك فإن الناموس يعتبر السياج الإلهي الذي حاصر إسرائيل من الذوبان في الأمم الأخرى وعباداتهم الشيطانية، وحمى شعب إسرائيل كلجامٍ باسم يهوه العظيم المخوف ــ دون جميع شعوب الأرض ــ محتفظاً له بالبركة، أي بركة إبراهيم، من داخل أعماله، كحصن منيع احتجز له البركة، من داخل قيوده الروحية والناموسية والطقسية الشديدة جداً، التي هذبته فكرياً وأخلاقياً، وأعدته للتوبة الحقيقية لقبول البركة بلا مانع ــ بعد رفع لعنة الخطيئة ــ بواسطة الخلاص المجاني بالإيمان الأعظم، الإيمان بالفداء الذي أكمله الإبن الوحيد المحبوب عن كل العالم، بكل الشعوب والأمم. وبذلك نجح الله في استخدام شعب إسرائيل، كنسل إبراهيم، أن يوصل آسم الله العظيم وبركة إبراهيم، لجميع الشعوب حسب الوعد، بدون ناموس، بعد أن استوفى هذا الشعب في نفسه كل تأديبات الناموس الذي أكمله المسيح كلمةً كلمةً وحرفاً حرفاً، عن شعب إسرائيل، ثم عن العالم أجمع:

coptic-books.blogspot.com

«... أنكم كنتم في ذلك الوقت بدون مسيح، أجنبيين عن رعوية إسرائيل وغرباء عن عهود الموعد، لا رجاء لكم وبلا إله في العالم. ولكن الآن في المسيح يسوع؛ أنتم الذين كنتم قبلاً بعيدين صرتم قريبين بدم المسيح؛ لأنه هو سلامنا الذي جعل الإثنين واحداً ونقض حائط السياج المتوسط، أي العداوة، مبطلاً في جسده ناموس الوصايا في فرائض، لكي يخلق الإثنين في نفسه إنساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً، ويصالح الإثنين في جسد واحد مع الله بالصليب، قاتلاً العداوة به.» (أف ٢: ١٢ــ١٦)

واضح، إذن، أن ناموس موسى لم يُعطَ أصلاً ولا ضمناً للأمم وشعوب العالم، بل أُعطي كتهذيب خاص جداً للشعب الذي أفرزه الله ليعدَّ بواسطته عودة العالم ومصالحة العالم لنفسه، لا بموسى بعد، ولكن بالإيمان بيسوع المسيح: «يخبر يعقوب بكلمته وإسرائيل بفرائضه وأحكامه. لم يصنع هكذا بكل الأمم، وأحكامه لم يوضحها لهم» (مز١٤٧: ١٩و٢٠). كذلك يشرح بولس الرسول هذا العبور فوق الناموس دون إغفاله: «وأما الآن فقد ظهر بر الله بدون الناموس، مشهوداً له من الناموس والأنبياء؛ بر الله بالإيمان بيسوع المسيح، إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون؛ لأنه لا فرق، إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله» (رو٣: ٢١ــ٢٣). وبذلك يتحتم أن ننظر نحن إلى الناموس الذي أُعطي لإسرائيل كهدية عظمى، قطفنا نحن ثمرتها وبركتها، دون أن ندفع أية غرامة أو عقوبة أو لعنة، في جانبها السلبي الذي تحمله شعب إسرائيل والمسيح بالكامل. «ما جئت لأنقض بل لأكمل» (مت٥: ١٧)، «... قد أُكمل، ونكس رأسه وأسلم الروح.» (يو١٩: ٣٠)

ويلاحظ، كما تقدم القول، أن عمومية عمل الخطيئة وانتشارها في الطبيعة البشرية، لم تقف عند آدم، بل تسربت إلى كل بني آدم، لا من خلال وراثة حقيقية، بل من خلال حرية الإرادة التي يولد بها الإنسان، كل إنسان، مع إرادة

coptic-books.blogspot.com

ضعيفة مستعبدة للشيطان، وحكم موت روحي أبدي، لا كموت جسد بل كهلاك أبدي وهو الحرمان من الحياة الأبدية مع الله.

لذلك فإبطال الخطيئة هو عمل يستهدف الطبيعة البشرية ككل، لا يمكن أن يتم على مستوى فردي أو جزئي، مثل غفران الخطيئة الذي هو مجرد رفع عقوبة التعدي المباشر عن عمل ما ضد الناموس. فداود لما أخطأ، واجهه النبي ناثان بتوبيخ الله: «... فقال داود (في الحال معترفاً) لناثان: قد أخطأت إلى الرب. فقال ناثان لداود: الرب قد نقل عنك خطيتك؛ لا تموت (رجماً بحسب الناموس كزان)» (٢صم١٢: ١٣)، فغفران الخطيئة سهل، فيوحنا المعمدان أيضاً كان يعمِّد ويمنح غفران الخطايا لكل من كان يعترف لديه بخطاياه تائباً (وكان هذا مجرد إعداد لمعمودية الروح القدس لخلقة جديدة للإنسان)، أما رفع حكم الهلاك الأبدي بعد الموت، أي قطع نصيب الإنسان من الحياة الأبدية مع الله، فهو شيء يفوق الموت الجسدي، و يتجاوز مجرد غفران خطيئة ما، كفعل تعدٍّ يستحق الرجم حسب الناموس! بل إنه يتعلق برفع قوة عمل الخطيئة في الكيان البشري، و بفك الإنسان الأسير من سلطان الشيطان بالموت وإعطاء قيامة جديدة للإنسان.

كذلك فإن ارتباط الإنسان بالشيطان، لم يعد حالة فردية بعد سقوط آدم، بل هو ارتباط استعباد وأسر للطبيعة البشرية ككل، و بالأخص لإرادتها، وكأنما ارتبط الإنسان بالشيطان بعقد خطيئة، وصار يعمل الخطيئة بصورة توافقية مع الشيطان، يصعب بل يستحيل إخراج الإنسان من تحت سلطانها بإرادته وحده. إن آدم كان حراً في اختياره طاعة الله أو التعدي عليها بإرادته، ولكنه بعد اختياره مشورة الشيطان واستخدامه حرية إرادته في كسر الوصية، فقد كثيراً من حريته، وأصبح كأنه مُساق إلى الخطيئة، وإنه يصعب و يستحيل عليه مقاومة كل الخطايا كل الوقت، بل إن حرية الحكم بين الخطأ والصواب أصابها خلل، بسبب اعتياد

coptic-books.blogspot.com

الإنسـان للخطأ. كان الإنسان قبل الخطيئة طائعاً، لكنه بعد الإعتياد عليها أصبح مُساقاً لها، لأنها ربضت في أعضائه وطوّعتها لمشيئتها.

إن الخطيئة هي التي طردت آدم من الجنة، من أمام وجه الله، وهي التي جعلته يـرتـعـب لـسماع صوت الله ويختبيء من وجهه، هكذا أصبحت الخطيئة حاجزاً بين الإنـسـان والله؛ و بـعـد حـكم الله بالموت الذي جاء من واقع الأمر ــ لأن الإنسان اختبأ من الله مصدر حياته وسعادته ــ أصبح الإنسان لا يقوى على العودة إلى الله، ولا يملك الحق في الرجوع إلى مكان سعادته، أو حتى في النظر إلى الله: «الإنسان لا يراني و يعيش.» (خر٣٣: ٢٠)

إن حـال الإنـسـان، كـل إنـسـان، أخـذ هـذا الـوضـع المـوروث، وتـرسّـخ فيه بالممارسة، إذ صار الإنسان في عداوة مع الله، عداوة من صنع يديه.

لا رجاء للإنسان إلا في فادٍ قادر على خلقته من جديد:

و بعد تجربة ضعف الناموس واختبار فشل خدمة جميع الأنبياء، أصبح لا رجاء لـلإنـسـان إلا في فـاد وسـيـط، يكمّـل كـل مـا نـص عليه الناموس واستحال على الإنـسـان تـطبيقه، ثمَّ يكمّل كل حكم الله على الإنسان لتبرئة ذمته ككل، و يكون قـادراً على إبـطـال سـلطان الخطيئة والشيطان بالنسبة للإنسان، أي تحرير الإنسان مـن سُـخرة الخطيئة واستعباد الشيطان، واستعادة حرية إرادته وتفكيره وغرائزه؛ ثم إعـطـاء الإنسان طبيعة جديدة لها صورة خالقها من جديد، في البر وقداسة الحق، لا سـلـطـان للـخـطيئة أو لحكم الموت عليها، ولا للشيطان أو العالم أو الأشياء الحاضرة التي فـيـه، أي طبيعة تستمد حريتها وسعادتها، بل عملها ومشيئتها، بل إرادتها، من الله، وتـعـيـش مـتـحـدة بـه: «تمموا خلاصكم بخوف ورعدة، لأن الله هو العامل فـيـكـم أن تـريدوا وأن تعملوا من أجل المسرة» (في ٢: ١٢ و١٣). هذه هي فرصة

coptic-books.blogspot.com

الإنسان الوحيدة للخلاص، أن الله نفسه يعمل في الإنسان، حتى ترتفع إرادته وأعماله إلى مستوى إرادة الله وعمله، أي أن نحيا به أو أن يحيا هو فينا!!

على أن آدم لم يخرج من الفردوس بلا رجاء، أو بدون وعد لمثل هذا الخلاص، بل وللإنتقام أيضاً من الذي أسقطه!

ففي محاكمة الله للحية، أعطى الله أول شعاع للخلاص الذي أعده عبر ألوف السنين القادمة. فلعنة الحية القديمة، صاحبها وعد بقيام بذرة (نسل) من حواء يسحق رأس الحية، أي يبيدها إبادة، هذه هي البشارة التي سمعتها أذن آدم وهو في ملء حزنه.

والدليل على أن آدم فهم هذا الوعد، أنه سمّى امرأته قبل خروجه من الفردوس «حواء» أي «حياة» حسب الأصل العبري Schavva، وأم كل حي. وهكذا بقي الإنسان على شموخه وعزته بالرغم من الحزن والذلة التي أصابته. إن رجاء الإنسان في الله جعله يرجو الحياة و يتشبث بها حتى في عتمة الحزن وظلال الموت!! والعجيب أن آدم لم يلُم حواء بل أعطاها هذا الإسم اعتزازاً بها وتمجيداً لها: «وأما المرأة فهي مجد الرجل» (١ كو١١: ٧)، وكأنما آدم يتحدى الموت عندما سمى امرأته «حياة» أو «حواء»، وصار له هذا الإسم عزاءً وتذكاراً لوعد الله أن من نسلها يخرج من يحطم رأس الشيطان!! و يلغي عار سقطته!!

والعجيب أننا حينما نقرأ سفر الرؤيا، نجد أن نصيب الأشرار سيكون مع نصيب الشيطان (رؤ٢٠: ١٥)، وهكذا نفهم لماذا جاء وعد الله في محاكمة الحية بالجمع (في نسل الحية)، وهذا أيضاً يوضحه المسيح في مهاجمته للأشرار: «يا أولاد الأفاعي، كيف تقدرون أن تتكلموا بالصالحات وأنتم أشرار؟» (مت١٢: ٣٤)؛ أما السحق والإبادة، فيتركز بصورة مفردة على رأس الحية، الذي هو الشيطان.

coptic-books.blogspot.com

كذلك نلمح من خطة الخلاص التي وضع الله أساسها في الفردوس بعد السقوط، أن المخلص سيأتى من نسل المرأة، ولم يقل الله «من نسل آدم»، تلميحاً قوياً إلى أن المخلص لن يأتى من زرع رجل، بل مباشرة من «عذراء» (مت ١ : ١٨). بل و يكشف الله من ثنايا وعده بقيام المخلص والمنتقم، أنه قبل أن يسحق رأس الحية سوف تسحق أو تلدغ هي عقبه، إفصاحاً عن الآلام التي سيعانيها المخلص قبل أن يبلغ نصرته النهائية وسحقه لرأس الشيطان، إشارة إلى الآلام والأمجاد التي بعدها، التي تنتظر المخلص. وهكذا يجمع الله في وعده صورة ناطقة لمجيء المسيح الأول، لرفع الخطيئة بالصليب، ولمجيئه الثاني في مجده، للإنهاء على وجود الشيطان نهائياً. و بذلك تكمل ملامح الوعد بمجيء المسيا، قبل خروج آدم وحواء من الفردوس.

coptic-books.blogspot.com

النبوات التي جاءت عن المسيا

□ □ □

١ ـ الله في جنة عدن:

المسيا المخلص في الوحي المقدس، بلغة أنبياء العهد القديم [شخصية غامضة، موجودة ولكن غير منظورة، سوف تتراءى يوماً من الأيام لتكمل كل مشتهى الإنسان].

أول إشارة عن المسيا تجيء من الله رأساً بالنسبة للعداوة المتأصلة بين الشيطان، ممثَّلاً في الحية، و بين نسل المرأة. ولكن الحرب غير متكافئة، خاصة حينما يجيء «ابن الإنسان» نسل المرأة الموعود «هو يسحق رأسكِ (أي يقضي عليها وعلى نسلها)، وأنتِ تسحقين عَقِبه» (تك٣: ١٥) (العَقِب يمثل الجسد في أضعف مواضعه).

هنا الرب الإله يكشف عن النهاية المحتومة، بعد عداوة ممتدة للشيطان مع بني الإنسان.

كذلك يكشف الرب عن جزاء النقمة، الذي سيناله الشيطان من ابن الإنسان، عوض ما فعله بالحيلة والمكر والخداع، مع آدم رأس الخليقة. و واضح هنا أن الله وضع نفسه في صورة قوة في صفّ نسل المرأة، ضد الشيطان ممثَّلاً في الحية.

٢ ـ إبراهيم مختار الله:

أُعطي وعداً أنه سيصير من نسل إبراهيم مَنْ «يتبارك به جميع أمم الأرض» (تك١٨: ١٨)، إشارة إلى المسيا الموعود به: «وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض»

coptic-books.blogspot.com

(تك ١٢ : ٣). أما البركة الثانية التي نالها إبراهيم، فهي البركة الكهنوتية من ملكيصادق، أي ملك البر، «كاهن الله العلي» (تك ١٤ : ٨)، وهو شخصية تحيط بها أسرار كثيرة، وأخطر ما قيل فيه أنه: «مشبَّه بابن الله» (عب ٧ : ٣)، فهو شخصية تمثل «المسيا» في ظهوراته في العهد القديم. وثالث بركة قالها له الله: «لأني أجعلك أباً لجمهور من الأمم، وأثمرك كثيراً جداً وأجعلك أمماً، وملوك منك يخرجون.» (تك ١٧ : ٥ و ٦)

كل هذه المواعيد والبركات تمت بالفعل في نسل إبراهيم الذي منه خرج الرب يسوع حسب الجسد، وصار بتعبير سفر الرؤيا: «ملك الملوك ورب الأرباب» (رؤ ١٩ : ١٦) بالمفهوم الروحي الأخروي.

أما البركة الرئيسية التي نالها إبراهيم من فم الله بقسم، وهذه أول وآخر مرة يقسم فيها الله بذاته، فبعد طاعة إبراهيم لله في تقديم ابنه وحيده محبوبه إسحق، الذي كان في طاعته وتقديمه للذبح نموذجاً فريداً رمزياً لتقديم المسيح ابن الله ذبيحة. وكما رجع إسحق حياً كذلك قام المسيح حياً؛ لكن إسحق افتُدي بخروف، أما المسيح فكان هو حمل الله الذي صنع به فداءً للعالم كله.

٣ ـ يعقوب:

وفي يعقوب كرر الله عهده بالبركة الشاملة، لا لشعب إسرائيل أي اليهود فقط، بل لكل أمم الأرض كما وعد يعقوب: «و يتبارك فيك وفي نسلك جميع قبائل الأرض.» (تك ٢٨ : ١٤)

٤ ـ (أ) موسى:

أما موسى، فيشير إشارة مقتضبة، ولكنها غاية في الأهمية، إذ يعلق عليها كاتب سفر الأعمال بأنه كان يشير بها إلى المسيا الآتي، مسيح الرب، يسوع الذي سيقوم،

coptic-books.blogspot.com

مثل موسى، بعملية خروج أخرى أعمق وأشمل وأبلغ، من تحت نير فرعون آخر أشد شراسة وحيلة وعناداً وعداوة حقيقية لكل متغرِّب على الأرض كلها، الذي يسخِّر أسراه إلى أن يُدخلهم القبور ــ هذا هو نبي الخروج، والثاني الذي أشار إليه موسى: «هذا موسى الذي أنكروه قائلين من أقامك رئيساً وقاضياً، هذا أرسله الله رئيساً وفادياً بيد الملاك الذي ظهر له في العليقة، هذا أخرجهم صانعاً عجائب وآيات (إشارة جديدة إلى المسيح) في أرض مصر وفي البحر الأحمر وفي البرية أربعين سنة، هذا هو موسى الذي قال لبني إسرائيل: نبياً مثلي (نبي الخروج) سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم له تسمعون.» (أع ٧: ٣٥ــ٣٧)

٤ ــ (ب) بلعام بن بعور:

هذا عرّاف استدعاه ملك موآب، وهو أعدى أعداء إسرائيل، ولكن كانت لبلعام عين مكشوفة، يرى الرؤى وهو يقظ، و يتكلم بما يرى، هذا دعاه بالاق ملك موآب ليلعن إسرائيل، فظهر له الرب وحذره من أن يلعن إسرائيل، وكاد يوقع به الله بسيف الملاك المسلول على رقبته وهو راكب أتانه، التي نطقت توبّخه، فتكلم أخيراً بعد ثلاث مرات من محاولات بالاق، وفي كل مرة يبارك ولا يلعن، لكن في آخر بركة يتراءى له «المسيا» الآتي، قوة إسرائيل الحقيقية، المخفية وراء مظاهر سلوكياته الجيدة والرديئة: «وحي بلعام بن بعور، وحي الرجل المفتوح العينين، وحي الذي يسمع أقوال الله و يعرف معرفة العلي، والذي يرى رؤ يا القدير ساقطاً وهو مكشوف العينين: أراه ولكن ليس الآن، أبصره ولكن ليس قريباً، يبرز كوكب من يعقوب («أنا هو كوكب الصبح المنير» رؤ٢٢: ١٦)، و يقوم قضيب (ملك) من إسرائيل فيحطم طرفي موآب و يُهلك كل بني الوغى» (عد٢٤: ١٥ــ١٧). هذه صورة المسيا مسيح الرب التي رآها عرّاف أجنبي، ليس من بني إسرائيل، ولكن الوضوح الذي يحيط بالرؤ يا والكلمات المحكمة غاية في

coptic-books.blogspot.com

الغرابة والعجب، وخاصة أنها حدثت في أيام موسى وهو لا يزال حياً!! ولو يتذكر القارىء أنه على أساس هذه الرؤيا المحسوبة، قام حكماء المجوس المنجّمون من بلاد المشرق، عندما رأوا هذا الكوكب بأوصافه وأزمنته المحسوبة، وجاءوا حيث كان مولد الصبي، وسجدوا له، وقدموا له هدايا الملوك، ذهباً ولباناً ومراً، باعتبار أنه، حسب هذه الرؤيا، حامل «قضيب» يعقوب.

٥ ــ (أ) إشعياء:

ــ «لأنه يولد لنا ولد، ونُعطى آبناً، وتكون الرئاسة على كتفه، و يدعى آسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً... على كرسي داود ومملكته ليثبتها و يعضدها بالحق والبر من الآن وإلى الأبد. غيرة رب الجنود تصنع هذا.» (إش ٩: ٦و٧)

+ هنا بعد وصول الوحي إلى أقصى نقطة في التعبير عن من هو المسيا «إلهاً» يعود إلى بيت داود مرة أخرى:

ــ «ويخرج قضيب من جذع يسى، و ينبت غصن من أصوله، ويحل عليه روح الرب... و يكون في ذلك اليوم أن أصل يسى القائم رايةً للشعوب إياه تطلب الأمم و يكون محله مجداً.» (إش ١١: ١و٢و١٠)

+ هنا المسيا يعمل بروح الرب، ولكن لحساب أصل يسى.

٥ ــ (ب) إشعياء:

أكثر نبوءات إشعياء تداولاً عن ميلاد المسيا، الميلاد الإعجازي الذي جعله الله آية المسيا للتاريخ، أو معجزة تاريخ الإنسان لبيان أهمية وضخامة خلاصه، كيف أوقف التناسل من آدم وتدخل هو بروحه القدوس ليغير من مسار التسلسل الآدمي والميراث البشري، فتلد العذراء بدون رجل:

ــ «يعطيكم السيد نفسه آية، ها العذراء تحبل وتلد آبناً وتدعو آسمه

coptic-books.blogspot.com

عمانوئيل .» (إش ٧ : ١٤)

وفي موضع آخر يكمل أوصاف المسيا ، وكيف سيحل عليه الروح القدس المتعدد الصفات ، هكذا :

ــ «ويخرج قضيب من جذع يسى ، و ينبت غصن من أصوله ، ويحل عليه روح الرب ، روح الحكمة والفهم ، روح المشورة والقوة ، روح المعرفة ومخافة الرب .» (إش ١١ : ١ و٢)

ــ «هوذا عبدي الذي أعضُده ، مختاري الذي سرَّت به نفسي ، وضعت روحي عليه فيخرج الحق للأمم ، لا يصيح ولا يرفع ، ولا يُسمع في الشوارع صوته ، قصبة مرضوضة لا يقصف ، وفتيلة خامدة لا يطفىء .» (إش ٤٢ : ١ ــ ٣)

و يصف إشعياء النبي يوحنا المعمدان كنبي يتقدم طر يق الرب ليعده أمامه :

ــ «صوتُ صارخٍ في البر ية ، أعدوا طر يق الرب قوِّموا في القفر سبيلاً لإلهنا .» (إش ٤٠ : ٣)

ــ «... هوذا إلهكِ ، هوذا السيد الرب بقوة يأتى ...» (إش ٤٠ : ٩ و١٠)

وعن يوحنا المعمدان الصابغ السابق لمجيء المسيا يتكلم ملاخي النبي بغاية الوضوح في آخر نبوته :

ــ «هأنذا أرسل إليكم إيليا النبي قبل مجيء يوم الرب اليوم العظيم والمخوف ، فيرد قلب الآباء على الأبناء (المعمودية) وقلب الأبناء على آبائهم (التوبة) .» (مل ٤ : ٥ و٦)

٥ ــ (ج) إشعياء :

يشرح طر يق الخلاص المر ير الذي أكمل به المسيا حمْل خطايا البشر ية في

coptic-books.blogspot.com

روعة وبهاء ومجد، في إش ٥٠ : ٦.

+ هنا صورة أخرى مكمّلة للمسيا العبد المهان الذي سوف يجعل عبادة الله تصل إلى أقصى المسكونة، ويجعل حق الله ووصاياه كالنور والهواء، تراه وتستنشقه كل نسمة، ولكن ليس مجاناً، لكنه سيبلغ غاية إرساليته من خلال المعاناة والآلام والعار والفضيحة إلى أقصى حد حتى الموت، لكي يبرر الفاجر ويحمل إثم الجميع؛ و يصف إشعياء كل حوادث الصلب والموت:

— «السيد الرب فتح لي أذناً (ثَقْب الأذن علامة رضى العبد بالعبودية) وأنا لم أعاند، إلى الوراء لم أرتد، بذلت ظهري للضاربين وخديَّ للناتفين، وجهي لم أستر عن خزي البصاق.» (إش ٥٠ : ٥و٦)

— «كان منظره مُفسَداً أكثر من أي إنسان، وصورته أكثر من كل بني آدم.» (إش ٥٢ : ١٤)

— «لا صورة له ولا جمال فننظر إليه، ولا منظر فنشتهيه، محتقر ومخذول من الناس، رجل أوجاع ومختبر الحزن، نشيح بوجوهنا عنه، محتقر فلم نعتد به. لكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحملها، ونحن حسبناه مصاباً ومضروباً من الله ومذلولاً. وهو جُرح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا، تأديب سلامنا عليه وبضرباته (جلداته) شُفينا.

كلنا كغنم ضللنا، مِلنا كل واحد إلى طريقه، والرب وضع عليه إثم جميعنا. ظُلم، أما هو فتذلل ولم يفتح فاه، كشاةٍ تساق إلى الذبح، وكنعجة صامتة أمام الذي يجزها فلم يفتح فاه.

من الضُغطة ومن الدينونة أُخذ، وفي جيله من كان يظن أنه قُطع من أرض الأحياء.

coptic-books.blogspot.com

إنه ضُرب من أجل ذنب شعبي.
وجُعل مع الأشرار قبره، ومع غنيٍّ عند موته.
على أنه لم يعمل ظلماً، ولم يكن في فمه غش!!
أما الرب فسُر بأن يسحقه بالحزن، إذ الرب جعل نفسه ذبيحة إثم.
وعبدي البار بمعرفته يبرر كثيرين، وآثامهم هو يحملها.
سكب للموت نفسه وأحصي مع أثمة، وهو حمل خطيئة كثيرين، وشفع في المذنبين!!» (إش أصحاح ٥٣ كله).

٦ ــ إرميا:

ــ «ها أيام تأتي، يقول الرب، وأُقيم لداود غصن بر، فيملك ملك و ينجح، و يُجري حقاً وعدلاً في الأرض. في أيامه يخلص يهوذا و يسكن إسرائيل آمناً، وهذا هو آسمه الذي يدعونه به: الرب بِرُّنا.» (إر٢٣: ٥و٦)
+ هنا يحدد الوحي آسم المسيا الوظيفي، ولكن لحساب داود!!!

٧ ــ حزقيال:

ــ «وأُقيم عليها راعياً واحداً، فيرعاها عبدي داود، هو يرعاها وهو يكون لها راعياً، وأنا الرب أكون لهم إلهاً، وعبدي داود رئيساً في وسطهم أنا الرب تكلمت، وأقطع معهم عهد سلام... فيسكنون في البرية مطمئنين.» (حز٣٤: ٢٣ــ٢٥)
+ هنا المسيا يظهر في هيئة الراعي، ولكن لحساب يهوذا.

٨ ــ (أ) زكريا:

ــ «إبتهجي يا آبنة صهيون، اهتفي يا بنت أورشليم، هوذا ملككِ يأتي إليكِ. هو عادل ومنصور، وديع وراكب على حمار وعلى جحش آبن أتان... أنهضتُ أبناءكِ يا صهيون... وجعلتكِ كسيف جبار» (زك٩: ٩و١٣). في هذه يكون تواضع المسيا

coptic-books.blogspot.com

لحساب صهيون.

+ في هذه النبوات كلها يبرز الوحي صورة المسيا كشخص إلهي مهيب، له رسالة خلاص وحب ووداعة، ورعاية وسلطان، تفوق تصورات اليهود، لكن الكلمات تضع هذه الصورة غير المحدودة الأزلية والأبدية معاً لحساب إسرائيل ووطن إسرائيل، وأمان ورجاء وانتقام لمجد الشعب اليهودي، في حين أن الوحي يرى في إسرائيل ويهوذا وأورشليم وصهيون وداود والملك، يرى في هذا كله وضعاً جديداً روحياً على مستوى ما رآه بولس الرسول في الرسالة إلى العبرانيين:
ــ «بل قد أتيتم إلى جبل صهيون، وإلى مدينة الله الحي أورشليم السماوية وإلى ربوات هم محفل ملائكة وكنيسة أبكار.» (عب ١٢: ٢٢و٢٣)

٨ ــ (ب) زكريا:

هنا يكمل النبي آخر منظر من مناظر المخلص على الصليب، ويصف الطعنة التي تلقاها جسد المسيا في جنبه ويشرحها شرحاً عجيباً حقاً على مستوى واقعي سري، ولكن من وراء حُجُب الزمان، فكما فاض من جنبه المطعون دم وماء، يرى النبي أنه قد فاض بالمقابل ــ وكأنه الثمن المثمَّن ــ روح النعمة وقوة الصلاة المستجابة:
ــ «وأفيض على بيت داود وعلى سكان أورشليم روح النعمة والتضرعات، فينظرون إليَّ (أنا) الذي طعنوه، وينوحون...» (زك ١٢: ١٠)؛
ــ «في ذلك اليوم يكون ينبوع مفتوحاً لبيت داود ولسكان أورشليم للخطية والنجاسة» (زك ١٣: ١).

إن رؤيا زكريا تحمل تكديساً من المعاني العميقة المخفاة في اقتضاب شديد، ولكن غنى الروح لا يحتاج إلى كثرة كلام.
أما المعنى المستتر فهو أن بيت داود وسكان أورشليم، الرؤساء والمعتبرين

coptic-books.blogspot.com

والكهنة العظام وأكابر مشرِّعي الناموس، الذين كان عليهم أن يستقبلوا المسيا ليجلسوه على كرسي داود، إذ بهم قد فتحوا لأنفسهم بأيديهم في جنب المسيح ــ حِنقاً لا حباً ــ بطعنة الحربة، ينبوعاً فاض عليهم لا للنقمة ولكن لغسل خطاياهم وتطهير نجاساتهم. صحيح أن العالم عندما سيراه بجنبه المفتوح سيخرُّ بالتهليل ساجداً، والملوك بالفرح سيطرحون تيجانهم مع الشيوخ، لأن ينبوع جنبه فاض وغطى العالم بروح النعمة والتضرعات فعلاً، وأما الذين طعنوه فسينوحون وأي نوح!!

كذلك وفي نفس الرؤيا، ومن وراء هذه الكلمات، يتضح أن بمجيء المسيح وجروحه ظاهرة، يبدأ ملكوته بمنظر الدينونة، والنائحون وكأنهم كالجداء على الشمال، وذوو النعمة والتضرعات كالخراف عن اليمين.

وهكذا كان صوت الوحي واضحاً على مدى الأسفار والأجيال، يبشر بمجيء الذي سيتكفل بإبطال الخطية وتحرير الإنسان من عبودية من له سلطان الخطية والموت، لأن أنين الإنسان لم يكف أمام الله منذ آدم حتى المسيح، وأنين الإنسان هو الذي من خلاله كان يتكلم الآباء بالروح:

ــ «وحينما أقام الرب لهم قضاة (وأنبياء)، كان الرب مع القاضي وخلصهم من يد أعدائهم كل أيام القاضي، لأن الرب ندم من أجل أنينهم بسبب مضايقيهم ومزاحميهم. وعند موت القاضي كانوا يرجعون و يفسدون أكثر من آبائهم وراء آلهة أخرى ليعبدوها و يسجدوا لها، لم يكفوا عن أفعالهم وطريقهم القاسية.» (قض ٢: ١٨و١٩)

وقد عرفنا أن الله، إذا استبد بالإنسان الألم والمعاناة، فإنه ينزل بنفسه ليرى و يسمع ويخلِّص كما حدث في مصر. كما عرفنا عن الله أيضاً أنه إذا استبد الإنسان

coptic-books.blogspot.com

بالإثم والفجور فإنه ينزل أيضاً ليحرق و يدمر، لا الإنسان فقط، بل والأرض وكل ما عليها كما في سدوم وعمورة.

فالله لم يكن ولن يكون بعيداً عن الإنسان المتألم والمهان، كما قد يعتقد الإنسان المظلوم، ولا عين الله بعيدة أبداً عن الفاجر والمتمادي في غيّه كما قد يظن.

لكن الحقيقة البشرية التي كانت تنخر في عظام الإنسان منذ آدم، هي أنه لا خلاص من الخطية بكل الإمكانيات التي أُتيحت للإنسان، فالإنسان ظل يكتم في أعماقه حالة من الفصام مقلقة للغاية، بين واقعه الأليم وآماله وتطلعاته العريضة نحو حياة أفضل مع الله: «لأن الإرادة حاضرة عندي، وأما أن أعمل الحسنى فلست أجد» (رو٧: ١٨)، بالرغم من حرية إرادته التي يعتز بها. وهكذا انغرس مع الخطيئة في ضمير الإنسان صراخ مكتوم نحو طلب الفادي الذي يستطيع أن يستبدل ميراث الإنسان الجسدي المحطّم، ويهبه ميراثاً آخر يعيش على ضمير بلا خطية، لا جزافاً ولا مجرد إيهام، بل على واقع روحي يشهد له السلوك والتصرف والعمل اليومي، شهادة تتساوى مع طموح الإنسان في الخير والسعادة والسلام والفرح والطهارة والتعفف مع الله.

و باختصار، وبمنطق بولس الرسول، كان الإنسان يود لو أن يُستبدل آدم رأس ومصدر ميراثه الإنساني بآدم آخر، ليرى نفسه إنساناً جديداً: «ويحي أنا الإنسان الشقي، من ينقذني من جسد هذا الموت؟؟» (رو٧: ٢٤)

٩ ـ دانيال:

يرى دانيال في رؤياه هذا الذي رآه الأنبياء أنه «ابن الإنسان» وهذه أول إشارة إلى مهمته المباشرة لبني البشر جميعاً. والأمر الثاني أنه يرى مُلكه وسيادته وسلطانه على كل الشعوب والأمم بلا تفريق، ولا يأتي على ذكر داود أو بيت داود

coptic-books.blogspot.com

أو كرسي داود، أو حتى إسرائيل، لا من قريب ولا من بعيد. وبالرغم من تأكيده أنه آبن الإنسان، إلا أن مجيئه لا يذكر شيئاً عن كيف يكون ميلاد آبن الإنسان. وإنما يرى مجيئه من فوق، من السماء، وزمرته هم «قديسو العلي» الذين سيأخذون المملكة (راجع دا٧: ١٣و١٨و٢٧و٢٨).

+ وكأن دانيال هنا يرى المسيا بعد كمال رسالته، في مجيئه الثاني آتياً على سحاب السماء: «كنت أرى في رؤى الليل، وإذا مع سحاب السماء مثل آبن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام، فقربوه قدامه، فأُعطي سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة، سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول، وملكوته ما لن ينقرض...

وأما قديسو العلي فيأخذون المملكة ويمتلكون المملكة إلى الأبد وإلى أبد الآبدين... والمملكة والسلطان وعظمة المملكة تحت كل السماء تُعطى لشعب قديسي العلي، ملكوته ملكوت أبدي، وجميع السلاطين إياه يعبدون و يطيعون. إلى هنا نهاية الأمر.» (دا٧: ١٣و١٤و١٨و٢٧و٢٨)

+ هنا دانيال يكشف في رؤياه رسالة المسيا بشقيها، و يوضح بشيء من السرية أنه ولو أنه «آبن الإنسان»، إلا أن مجيئه مع سحاب السماء مشيراً إلى أن المسيا له صلة مباشرة بالله في مجيئه وفي دوامه. ولكن أخطر ما تكشف عنه نبوة دانيال عن المسيا، هو نصرته الكاملة والشاملة والأبدية، على كافة أعدائه وسيادته وسلطانه وملكوته على كافة شعوب العالم وإلى مالانهاية.

١٠ ـ ميخا:

ـ «أما أنتِ يا بيت لحم أفراتة، وأنتِ صغيرة أن تكوني بين ألوف يهوذا، فمنكِ يخرج لي الذي يكون متسلطاً على إسرائيل، ومخارجه منذ القديم، منذ أيام الأزل...

coptic-books.blogspot.com

إذا دخل أشور في أرضنا ، وإذا داس في قصورنا ، نقيم عليه سبعة رعاة وثمانية من أمراء الناس ، فيرعون أرض أشور بالسيف وأرض نمرود في أبوابها... إذا دخل أرضنا وإذا داس تخومنا... وتكون بقية يعقوب ، كالأسد بين وحوش الوعر ، وكشبل أسد بين قطعان الغنم... لترتفع يدك على مبغضيك ، و ينقرض كل أعدائك . »
(مي ٥ : ٢ـــ ٩)

+ هنا يشير الوحي إلى أزلية المسيح وإلى دوامه الأبدي ، ولكن لحراسة إسرائيل !!!

١١ ـــ السامرية :

كما تجيئنا من السامرة رؤ يا متلهفة واقعية لمجيء المسيح (والسامر يون في عداوة مع اليهود منذ أيام نحميا في القرن الخامس ق . م . لأنهم بنوا لأنفسهم هيكلاً ومذبحاً) . لكن السامرة كانت موضعاً لكرازة الإنجيل أيام المسيح و بعده «...وفي أورشليم وكل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض . » (أع ١ : ٨)

و بالرغم من الإنشقاق والعداوة القائمة بين اليهود والسامر يين ، إلا أنهم كانوا يعيشون على رجاء المسيا !! علماً بأن المسيح لم يعلن جهاراً و بصراحة أنه هو المسيا ، ولأول مرة ، إلا للسامر ية : «قالت له المرأة السامر ية : أنا أعلم أن مسيا الذي يقال له المسيح يأتي فمتى جاء ذاك يخبرنا بكل شيء . قال لها يسوع : أنا الذي أكلمكِ هو . » (يو ٤ : ٢٥و٢٦)

coptic-books.blogspot.com

ظهور المسيا

□ □ □

ـــ «ها أنا أرسل ملاكي (يوحنا) فيهيِّىء الطريق أمامي. و يأتي بغتةً إلى هيكله السيد الذي تطلبونه، وملاك العهد الذي تسرون به هوذا يأتي قال رب الجنود.» (مل٣: ١)

لقد جاء المسيا إلى هيكله فجأةً فعلاً، فقد كان كل الهيكل بكهنته وعبادته ومراسيمه وخدامه وذبائحه وقبائحه في غير استعداد قط لقبوله، لأن الهيكل لم يعد بيت الصلاة كما كان يُدعى، بل جعلوه، كما قال السيد، مغارة لصوص (مت٢١: ١٣). لكن لم يكن فجأةً مجيء المسيا لسمعان الشيخ الذي كان روح الله عليه ينتظر بفارغ الصبر رؤ ياه لكي ينطلق حسب وعد الله له، ولا كان فجأة مجيئه لِحَنَّة النبية العابدة الصائمة المداومة لصلوات الهيكل أربعة وثمانين عاماً.

هكذا كان مجيء المسيح، وهكذا سيكون مجيئه للحكماء والحكيمات الذين ملأوا أوعيتهم زيتاً. حتى حكماء المجوس، لم يكن مجيء المسيا ملك اليهود مفاجأة لهم. فالمسيا، أي المسيح، حاضر في كل أسفار العهد القديم كما رأينا، بل حاضر في صميم الزمن الذي يتحرك لحسابه في عَدِّه التنازلي حتى ظهوره في بيت لحم.

يسوع المسيح في ميلاده وحياته
حقق كل علامات ومعجزات العصر الماسيَّاني

إن الأناجيل والرسائل والرؤ يا، في مجموعها، كان هدفها الموحَّد هو إثبات أن

coptic-books.blogspot.com

يسوع المسيح هو المسيا الموعود به، بالرغم من أن أي كاتب للأناجيل أو الرسائل أو الرؤيا لم يخطط أو حتى ينشغل بإبراز العنصر المسيَّاني في حياة المسيح. ولكن سرد الوقائع انتهى إلى هذه الحقيقة، بكل انسجام و بكل اقتناع وتأكيد من الكاتب، فكانت حياة المسيح ومعجزاته هي التي تشير إلى أنه المسيا دون ضغط، لا من المسيح، ولا من الكاتب، حتى يأخذ الإيمان مجاله بحرية واقتناع، وحتى يترك للإختيار بالروح مجاله العميق داخل الإنسان: «أما كل الذين قبلوه فأعطاهم (الله) سلطاناً أن يصيروا أولاد الله» (يو١: ١٢)؛ بمعنى أن المسيح قدم نفسه للعالم، وترك الله يختار أعضاء ملكوته: «وليس أحد يقدر أن يقول يسوع رب إلا بالروح القدس»!! (١كو١٢: ٣)

و بالفحص الدقيق، نجد المسيح قد ملأ كل دور المسيا وعمله ورسالته باعتبارها رسالته التي نزل من أجلها من السماء، وصعد أيضاً ليكملها هناك، وسيأتي ليعلن نهايتها:

(١) يخلص شعبه من خطاياهم: و يبدأ عهد الله معنا منذ أول لحظة ميلاده، إذ يعلن الملاك وظيفة «المسيا» أنه سيسمَّى باسم: «يخلص شعبه من خطاياهم»؛ «الذي حُبل به فيها هو من الروح القدس، فستلد آبناً وتدعو آسمه يسوع، لأنه يخلص شعبه من خطاياهم. وهذا كله كان لكي يتم ما قيل من الربْ بالنبي القائل: هوذا العذراء تحبل وتلد آبناً و يدعون آسمه عِمَّانوئيل الذي تفسيره الله معنا» (مت١: ٢٠ـ٢٣)؛ «وُلد لكم اليوم... مخلص هو المسيح الرب.» (لو٢: ١١)

(٢) ملك اليهود: ثم يعلن المجوس الحكماء أن هذا هو ملك اليهود وقد جاءوا ليسجدوا له بالرغم من أنهم غرباء عن اليهود. والعجيب حقاً أن المسيح صُلب تحت

coptic-books.blogspot.com

هذا اللقب!!

(٣) آبن الله: كلقبٍ موازٍ للقب آدم الأول، ولكن ليس بالنسب، بل بالطبيعة والجوهر: «الروح القدس يحل عليكِ، وقوة العلي تظللكِ، فلذلك أيضاً القدوس المولود منكِ يُدعى آبن الله.» (لو١: ٣٥)

ـــ «ونزل عليه الروح القدس بهيئة جسمية مثل حمامة، وكان صوت من السماء قائلاً أنت آبني الحبيب بك سررت.» (لو٣: ٢٢)

ـــ «وأنا لم أكن أعرفه، لكن الذي أرسلني لأعمد بالماء ذاك قال لي: الذي ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه فهذا هو الذي يعمد بالروح القدس (الميلاد الجديد) وأنا قد رأيت وشهدت أن هذا هو آبن الله.» (يو١: ٣٣و٣٤)

ـــ «مباركة أنتِ في النساء، ومباركة هي ثمرة بطنك، فمن أين لي هذا أن تأتي أم ربي إليَّ.» (لو١: ٤٢و٤٣)

(٤) النبي إيليا يأتي قبل أن يأتي يوم الرب العظيم:

ـــ «فقال له الملاك: لا تخف يا زكريا، لأن طلبتك قد سُمعت، وامرأتك أليصابات ستلد لك آبناً وتسميه يوحنا... لأنه يكون عظيماً أمام الرب... ومن بطن أمه يمتلىء من الروح القدس... و يتقدم أمامه بروح إيليا وقوته، ليرد قلوب الآباء على الأبناء.» (لو١: ١٣ـــ١٧)

(٥) المسيح كفادٍ وملك خلاص على بيت داود حسب تنبؤات الأنبياء جميعاً:

ـــ «وامتلأ زكريا أبوه من الروح القدس، وتنبأ قائلاً: مبارك الرب إله إسرائيل لأنه افتقد وصنع فداءً لشعبه، وأقام لنا قرن (ملك) خلاص في بيت داود فتاه، كما تكلم بفم أنبيائه القديسين الذين هم منذ الدهر. خلاص من أعدائنا (أعداء الروح) ومن أيدي جميع مبغضينا (جنود الشر الذين في السموات) ليصنع

coptic-books.blogspot.com

رحمة مع آبائنا و يذكر عهده المقدس، القسَم الذي حلف لإبراهيم أبينا... وأنت أيها الصبي نبي العلي تُدعى، لأنك تتقدم أمام وجه الرب لتعدَّ طرقه.»
(لو١: ٦٧ـ٧٦)

(٦) ملك عظيم، وابن العلي يُدعى، ولا يكون لملكه نهاية:

ـ «لا تخافي يا مريم، لأنكِ قد وجدتِ نعمة عند الله، وها أنتِ ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع، هذا يكون عظيماً وابن العلي يُدعى، و يعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه (المسيا) ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد، ولا يكون لملكه نهاية.» (لو١: ٣٠ـ٣٣)

(٧) أول كشف عملي عن جوهر رسالة المسيا المتجسد كمخلص لخطايا الإنسان، يظهر في مواجهة عملية صريحة مع الشيطان ومملكته تمهيداً لهدمها.

يلاحظ أن الصدام مع الشيطان بدأ بعد حلول الروح القدس على الرب بإعلان من السماء أن هذا هو ابن الله الحبيب الذي فيه مسرة الآب و به مسرة الناس:

(أ) «وللوقت وهو صاعد من الماء، رأى السموات قد انشقت، والروح مثل حمامة نازلاً عليه، وكان صوت من السموات أنت ابني الحبيب الذي به سررت. وللوقت أخرجه الروح إلى البرية، وكان هناك في البرية أربعين يوماً يُجرب من الشيطان، وكان مع الوحوش، وصارت الملائكة تخدمه.» (مر١: ١٠ـ١٣)

(ب) أما إنجيل متى، فيكشف عن نوع الحوار الذي دار بين المسيح والشيطان، وفي ختامه تنتهي المصادمة: «ثم أخذه أيضاً إبليس إلى جبلٍ عالٍ جداً، وأراه جميع ممالك العالم ومجدها، وقال له أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لي!! حينئذ قال له يسوع: إذهب يا شيطان لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد. ثم تركه إبليس، وإذا ملائكة جاءت فصارت تخدمه» (مت٤: ٨ـ١١). وكان

coptic-books.blogspot.com

الشيطان في كل محاولاته خاسراً، إذ واجهه المسيح بكلمة الله المكتوبة فلم يفلت من حكمها.

(ج) وفي إنجيل لوقا، بعد تجارب الشيطان، يقول:
ـ «ولما أكمل إبليس كل تجربة فارقه إلى حين.» (لو٤: ١٣)
هذا تلميح إلى معركة الصليب القادمة، حيث استطاع الشيطان أن يقلّب عليه كل أعوان مملكته التي انكشف بعض أعضائها بصورة مخزية، رؤساء الكهنة والكهنة والكتبة والفريسيون وشيوخ ورؤساء الشعب، وتلميذ من تلاميذ الرب، وشهود زور كان قد أُحسن إليهم، مع ملوك ورؤساء الأمم!!

لقد قلنا أن الإنسان قد أخطأ، ولم يزِدْه الناموس إلا معرفة بالخطيئة بكل أصولها وفروعها، والتي من خلالها اكتشف القوة الفعالة في الخطيئة، التي أصبح لها ناموس خاص، كامن في الفكر والأعضاء، وهو الذي يتحدى إرادة الإنسان، وهو نفسه الذي ينشيء الموت كعقوبة مباشرة لإنقطاع صلة الإنسان بالله مصدر الحياة الدائمة الأبدية: «فلماذا الناموس؟ قد زيد بسبب التعديات.» (غل٣: ١٩)

وكان رجاء الإنسان متركزاً منذ خرج من لدن الله في مَنْ سيأتي من نسل حواء (وليس من زرع رجل) الذي سيسحق رأس الحية. ورأس الحية هو الشيطان الذي تمثله بحيلتها ودهائها وخداعها؛ ورأينا أن هذا الآتي كان رجاء جميع الآباء والأنبياء والقديسين والرائين، وحتى الذين أُعطوا حكمة لمعرفة الأزمان والمخفيات كبلعام بن بعور والمجوس، رأوه كملاك وكنبي ورجل الله، وآبن الله، وآبن الإنسان الراكب على السحاب، وكملك ليس لملكه نهاية، وكإبن داود، بل وداود نفسه؛ كما رأوا النبي السابق الذي سيعد طريقه أمامه. كل هذا الشوق واللهفة كانا تعبير كل إنسان عن حاجته إلى الخلاص من قوة الخطيئة العاملة في الفكر والإرادة

coptic-books.blogspot.com

والأعضاء، ومن الشيطان الذي بها تسلط على الإنسان فسباه وأردى روحه إلى الهاوية.

وهكذا جاء المسيح وأمامه قوة الخطية التي خرَّبت الطبيعة البشرية وانتهكت إرادتها الحرة، وأعدمتها الحياة الأبدية، وأمامه الشيطان الذي استخدم هذه الخطية ليسبي كل قوى الإنسان تحت سلطانه بقيود الموت.

لذلك حينما جاء المسيح وبدأ عمله، اصطدم بالخطيئة وفعلها المدمر في جسد الإنسان، سواء بالأمراض أو الإختلال العقلي والنفسي، فتعامل رأساً مع قوة الخطيئة الفاعلة في الجسد، فشفى الأجساد من كافة الأمراض، وتعامل، مواجهة، مع الشيطان المختفي في تلك الأجساد فأخرجه عنوةً بسلطان قاهر، وأعاد الصحة والسلام إلى الأجساد والعقول والنفوس، بعد أن كان قد أسرها وتملك عليها.

لكن من أهم الإعتبارات التي ركز عليها المسيح في عمله أو في أقواله وتعليمه، أنه لم يكن يعمل بمفرده أو لحساب نفسه، لقد كرر ذلك مرات ومرات أنه جاء ليكمل مشيئة الآب الذي أرسله وليعمل عمله بل ولا يتكلم إلا بما يقوله الآب، ليثبت أنه ليس قوة منفردة دون الآب، لكن مشيئة الآب وعمله إنما يتركزان فيه هو، كواحد مع الآب، فهو يواجه الشيطان لا نائباً عن الآب، ولكن بشخصه هو كابن الله المرسل لمحق هذه القوة الشريرة وإيقاف عملها وسلطانها في أولاد الله ولإعطائهم الحياة بدل الموت، فإن كان يغفر الخطيئة فهو يغفرها بمقوماته الشخصية كابن الله وابن الإنسان الذي له كل سلطان الله، إذ لم يوجد فيه خطيئة ولا وُجد في فيه غش.

وإن كان قد جاء ليقضي على سلطان الخطيئة المؤدي إلى الموت، فهو بأن يتقبل فعل الخطيئة وسلطانها بجسده هو، الذي هو جسد البشرية الذي أخذه منا،

coptic-books.blogspot.com

وسيواجه الموت الذي هو عقوبة الخطيئة في جسده ونفسه البشرية التي أخذها منا، عن كل نفس، ليبيد الموت بموته هو، وليرفع سلطان الموت بقيامته من الموت حياً بنفس الجسد الذي تقبل الموت. وهكذا ألغى سلطان الموت عن جسده الذي هو جسد البشرية(١). فالمسيح الحامل للطبيعة البشرية وممثلها هو في نفس الوقت حامل لمشيئة الله وهو نفسه عمل الله وقوة الله وروح الله وكلمة الله المتجسدة. بهذه الكفاءة المزدوجة في طبيعة واحدة، واجه المسيح الخطيئة بجسده الطاهر وقبل الموت لنفسه ليظهر بقيامته أنه أبطل عز الموت وكسر شوكته التي هي الخطية القاتلة للإنسان. وصارت قيامته من بين الأموات هي أول قيامة للإنسان، وهي الحياة الجديدة للإنسان الجديد بطبيعته الجديدة الغالبة لسلطان الخطيئة والموت. ومن المسيح وفي المسيح نأخذ طبيعتنا الجديدة، كما من آدم آخر غير آدم الأول الذي ورثنا منه الخطية والموت.

المسيا المسيح
كما قدمته الأناجيل والرسائل

جاءت الأناجيل والرسائل في أوقات متفاوتة، وعلى يد أشخاص متمايزين، لم يجمعها مؤلِّف واحد يأخذون منه، ولا المسيح نفسه جعلهم يدونون شيئاً عن لسانه، ولكن كان كل اعتماد المسيح على الروح القدس، القوة التي انسكبت من الأعالي وجعلت كل هؤلاء الرسل والتلاميذ والأنبياء شهوداً على مستوى السمع واللمس والرؤية العينية ثم بالإنفتاح الداخلي وعمل البصيرة بالروح، أنبياء على أعلى مفهوم في القدرة على الكتابة والوصف والتعبير.

وهذه هي أوصاف الكتابات التي كُتبت عن المسيح بيد كاتبيها أنفسهم:

---

(١) « إن كان واحد قد مات لأجل الجميع، فالجميع إذاً ماتوا. » (٢كو ٥ : ١٤)

coptic-books.blogspot.com

بطرس الرسول:

ــ «لأننا لم نتبع خرافات مصنّعة، إذ عرّفناكم بقوة ربنا يسوع المسيح (ليس بمجرد كلام، وإنما بالآيات والمعجزات والقوة الفائقة، من شفاء أمراض وإقامة موتى) ومجيئه، بل كنا معاينين عظمته، لأنه أخذ من الله الآب كرامة ومجداً إذ أقبل عليه صوت كهذا من المجد الأسنى هذا هو ابني الحبيب الذي أنا سررت به. ونحن سمعنا هذا الصوت مقبلاً من السماء إذ كنا معه في الجبل المقدس.» (٢بط ١: ١٦ــ١٨)

ــ «عالمين هذا أولاً أن كل نبوة الكتاب ليست من تفسير خاص، لأنه لم تأت نبوة قط بمشيئة إنسان، بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس.» (٢بط ١: ٢٠و٢١)

ــ «مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح، الذي حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانيةً لرجاء حي بقيامة يسوع المسيح من الأموات... الذي وإن لم تروه تحبونه، ذلك وإن كنتم لا ترونه الآن لكن تؤمنون به فتبتهجون بفرح لا يُنطق به ومجيد، نائلين غاية إيمانكم خلاص النفوس، الخلاص الذي فتش وبحث عنه أنبياء (العهد القديم) الذين تنبأوا عن النعمة التي لأجلكم، باحثين أي وقت (زمن المسيا الآتي) أو ماذا يكون الوقت الذي كان يدل عليه روح المسيح الذي فيهم، الذي سبق فشهد بالآلام التي للمسيح (إشعياء) والأمجاد التي بعدها، الذين أُعلن لهم (ملخص العهد القديم) أنهم ليس لأنفسهم، بل لنا، كانوا يخدمون بهذه الأمور (كل العهد القديم بما حوى من تنبؤات كان يختص بالعهد الجديد) التي أُخبرتم بها أنتم الآن بواسطة الذين بشروكم (الرسل والإنجيليون) في الروح القدس المرسَل من السماء، التي تشتهي الملائكة أن تطلع عليها (أمجاد الله التي أذخرها لنا في السماء).» (١بط ١: ٣ــ١٢)

ــ «كما كتب إليكم أخونا الحبيب بولس... كما في الرسائل كلها أيضاً

coptic-books.blogspot.com

متكلماً عن هذه الأمور.» (٢بط٣: ١٥و١٦)

يوحنا الرسول:

ـ «وآيات أخر كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه لم تُكتب في هذا الكتاب (إنجيل يوحنا)، وأما هذه فقد كُتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح آبن الله، ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه.» (يو٢٠: ٣٠و٣١)

ـ «الذي كان من البدء، الذي سمعناه، الذي رأيناه بعيوننا، الذي شاهدناه ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة، فإن الحياة أُظهرت وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب (مخفية عنا) وأُظهرت لنا. الذي رأيناه وسمعناه نخبركم به، لكي يكون لكم أيضاً شركة معنا. وأما شركتنا نحن فهي مع الآب ومع آبنه يسوع المسيح (بالروح القدس) ونكتب إليكم هذا لكي يكون فرحكم كاملاً.» (١يو١: ١ــ٤)

ـ «إعلان يسوع المسيح الذي أعطاه إياه الله ليُري عبيده ما لابد أن يكون عن قريب (داخل الزمن) و بيَّنه مرسَلاً بيد ملاكه لعبده يوحنا، الذي شهد (بالإنجيل) بكلمة الله و بشهادة يسوع المسيح (أمام الإمبراطور الذي نفاه) بكل ما رآه.» (رؤ١: ١و٢)

بولس الرسول:

ـ «بسبب هذا أنا بولس، أسير المسيح يسوع لأجلكم أيها الأمم، إن كنتم قد سمعتم بتدبير نعمة الله المعطاة لي لأجلكم، أنه بإعلان عرَّفني بالسر، كما سبقت فكتبت بالإيجاز، الذي بحسبه حينما تقرأونه تقدرون أن تفهموا درايتي بسر المسيح، الذي في أجيال أُخر (العهد القديم) لم يُعرَّف به بنو البشر، كما قد أُعلن الآن لرسله القديسين وأنبيائه بالروح، أن الأمم شركاء في الميراث والجسد ونوال موعده في المسيح بالإنجيل... الذي صرت أنا خادماً له حسب موهبة نعمة الله المعطاة لي

coptic-books.blogspot.com

حسب فعل قوته.» (أف ٣: ١ــ٧)

ــ «الله بعدما كلم الآباء بالأنبياء قديماً (العهد القديم كله)، بأنواع وطرق كثيرة (بصوت مباشر، بظهور ملائكة، بظهورات للمسيا متعددة، بعمود السحاب وعمود النور، بالصخرة، بفمه شخصياً فوق جبل حوريب، بواسطة موسى، والقضاة، والأنبياء، والملوك، بالرؤى والأحلام...)، كلمنا في هذه الأيام (أسفار العهد الجديد كلها) الأخيرة في ابنه (أي كلمنا مباشرة فماً لفم، في شخص المسيا ابنه) الذي جعله وارثاً لكل شيء (لكل العهد القديم بكل مذخراته) الذي به أيضاً عمل العالمين، الذي هو بهاء مجده (شعاع نوره)، ورسم جوهره، وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته، بعدما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا (بموته) جلس في يمين العظمة في الأعالي، صائراً أعظم من الملائكة بمقدار ما ورث اسماً (ابن الله) أفضل منهم.» (عب ١: ١ــ٤)

ــ «لذلك يجب أن نتنبَّه أكثر إلى ما سمعنا لئلا نفوته (يسقط من ذاكرتنا)، لأنه إن كانت الكلمة التي تكلم بها ملائكة (وصايا الناموس) قد صارت ثابتة، وكل تعدٍّ ومعصية نال مجازاة عادلة، فكيف ننجو نحن إن أهملنا خلاصاً هذا مقداره قد ابتدأ الرب بالتكلُّم به، ثم تثبَّت لنا من الذين سمعوا، شاهداً الله معهم بآيات وعجائب وقوات متنوعة ومواهب الروح القدس حسب إرادته.» (عب ٢: ١ــ٤)

متى الرسول:

واضح من روايته أنه قد استقى أخبار قصة الميلاد من القديس يوسف نفسه (أنظر مت ١ و٢).

مرقس الرسول:

ــ «بدء إنجيل يسوع المسيح ابن الله. كما هو مكتوب في الأنبياء ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيىء طريقك قدامك. صوتُ صارخٍ في البرية أعدوا

coptic-books.blogspot.com

طريق الرب، اصنعوا سبله مستقيمة. كان يوحنا يعمد في البرية... وكان يكرز قائلاً يأتي بعدي من هو أقوى مني... أنا عمدتكم بالماء، وأما هو فسيعمدكم بالروح القدس.» (مر١: ١ـ٨)

لوقا الإنجيلي:

ـ «إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداماً للكلمة (العذراء ـ التلاميذ ـ الأنبياء)، رأيت أنا أيضاً، إذ قد تتبَّعت كل شيء من الأول بتدقيق (قصة الميلاد المدهشة من جميع شهود العيان والحافظين لكل أسرارها، وأولهم القديسة العذراء مريم وعائلتها) أن أكتب...» (لو١: ١ـ٣)

يوحنا المعمدان:

ـ «وهذه هي شهادة يوحنا، حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه من أنت، فاعترف ولم ينكر وأقرّ أني لست أنا المسيح (المسيا). فسألوه إذن ماذا، إيليا أنت؟ فقال لست أنا! ألنبي أنت؟ فأجاب لا، فقالوا له من أنت لنعطي جواباً للذين أرسلونا، ماذا تقول عن نفسك؟

قال: أنا صوتُ صارخٍ في البرية قوِّموا طريق الرب، كما قال إشعياء النبي. وكان المرسَلون من الفريسيين، فسألوه وقالوا له فما بالك تعمد إن كنت لست المسيح ولا إيليا ولا النبي؟ أجابهم يوحنا قائلاً: أنا أعمد بماء، ولكن في وسطكم قائم الذي لستم تعرفونه هو الذي يأتي بعدي الذي صار قدامي، الذي لست بمستحق أن أحلَّ سيور حذائه!!... وفي الغد نظر يوحنا (المعمدان) يسوع مقبلاً إليه فقال: هوذا حمل (ذبيحة) الله، الذي يرفع خطية العالم.

وأنا لم أكن أعرفه، لكن ليُظهر لإسرائيل لذلك جئت أعمد بالماء؛ وشهد يوحنا قائلاً: إني قد رأيت الروح نازلاً مثل حمامة من السماء فاستقر عليه، وأنا لم أكن

coptic-books.blogspot.com

«و يسمع في ذلك اليوم الصمُّ أقوال السفر، وتنظر من القتام والظلمة عيون العمي، و يزداد البائسون فرحاً بالرب، ويهتف مساكين الناس بقدوس إسرائيل، لأن العاتي قد باد وفني المستهزىء (تلميحاً عن الشيطان) وانقطع كل الساهرين على الإثم، الذين جعلوا الإنسان يخطىء بكلمة.» (إش ٢٩: ١٨ــ ٢١)

مرة أخرى يشهد عن نفسه جهاراً أنه المسيا هو هو

ــ «قالت له المرأة أنا أعلم أن «مسيا» الذي يُقال له المسيح يأتي، فمتى جاء ذاك يخبرنا بكل شيء. قال لها يسوع: أنا الذي أكلمكِ هو.» (يو٤: ٢٥و٢٦)

ــ «أجاب نثنائيل وقال له: يا معلم أنت آبن الله، أنت ملك إسرائيل. فأجاب يسوع وقال له: هل آمنت لأني قلت لك إني رأيتك تحت التينة؟ سوف ترى أعظم من هذا. وقال له الحق الحق أقول لكم من الآن ترون السماء مفتوحة وملائكة الله يصعدون و ينزلون على آبن الإنسان.» (يو١: ٤٩ــ ٥١)

هنا المسيح يوافق على أنه آبن الله وملك إسرائيل، و يضيف أنه آبن الإنسان الذي كُتب عنه أنه يأتي على سحاب السماء، وأنه السلم الذي رآه يعقوب يصل الأرض بالسماء والملائكة تصعد وتنزل عليه. هذا وضوح وتطابق فائق الوصف.

ــ «فأجابه سمعان بطرس يا رب إلى من نذهب، كلام الحياة الأبدية عندك. ونحن قد آمنا وعرفنا أنك أنت المسيح آبن الله الحي.» (يو٦: ٦٨و٦٩)

ــ «وأنتم من تقولون إني أنا؟ فأجاب سمعان بطرس وقال: أنت هو المسيح آبن الله الحي. فأجاب يسوع وقال له: طوبى لك يا سمعان بن يونا إن لحماً ودماً لم يعلن لك، لكن أبي الذي في السموات» (مت١٦: ١٥ ــ ١٧).

هنا أراد المسيح بالفعل أن يوجه نظر تلاميذه إلى شخصيته من هو، فلما أظهر بطرس أنه أدرك من هو المسيح آبن الله الحي، كان رد فعل المسيح إيجابياً وقو ياً

coptic-books.blogspot.com

وعجيباً، فقد كشف أن الآب في السماء هو هو الذي أعلن لبطرس عمن هو يسوع الناصري، وليس ذلك فقط، بل إن المسيح طوّب بطرس كونه أدرك مبكراً من هو الرب الذي يتعامل معه، وفي مكان آخر ترجم هذا الإعلان الإلهي المباشر بأنه لا يستطيع أحد القول بأن «يسوع رب إلا بالروح القدس» (١كو١٢: ٣)، أي أن استعلان المسيح أنه ٱبن الله يبقى إلى الأبد في حيز الروح كإلهام، كنطق إلهي!

وقد أضاف المسيح هنا أن الكنيسة سوف تُبنى روحياً على الإيمان بشخصية الرب أنه ٱبن الله الحي.

المسيح يشهد أمام رؤساء الكهنة
أنه هو المسيح ٱبن المبارك، الذي عليه رجاء اليهود

ـــ «فقام رئيس الكهنة في الوسط وسأل يسوع قائلاً: أما تجيب بشيء ماذا يشهد به هؤلاء عليك (شهود الزور)؟ أما هو فكان ساكتاً ولم يجب بشيء. فسأله رئيس الكهنة أيضاً وقال له: أأنت المسيح ٱبن المبارك؟ فقال يسوع: أنا هو Ἐγώ εἰμι وسوف تبصرون ٱبن الإنسان جالساً عن يمين القوة وآتياً في سحاب السماء.» (مر١٤: ٦٠ــ ٦٢)

ـــ هنا يعلن المسيح علناً وأمام رئيس الكهنة أنه ليس هو مجرد المسيا الشخص المهيب صاحب اللقب ٱبن المبارك، الذي عليه كل رجاء اليهود، بل هو أيضاً ٱبن الإنسان بالأوصاف الإلهية كما جاءت في نبوة دانيال، وأنه لم يجيء ليملك مجرد مُلك يجلس فيه على عرش اليهود في أورشليم كما يطلبون، بل ليجلس عن يمين القوة في السماء، وسيأتي مرة أخرى للدينونة على سحاب السماء!! فالمسيح هنا يكشف عن ضخامة رسالته وشخصيته، أكثر بكثير مما كان يتراءى لذهن اليهود.

coptic-books.blogspot.com

المسيح يقبل أن يرد على القسَم بالله،
أنه هو المسيا

ـ «فأجاب رئيس الكهنة وقال له: أستحلفك بالله الحي أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله؟ قال له يسوع: أنت قلت» (مت٢٦: ٦٣و٦٤). فكان هذا هو القسَم الوحيد الذي يعتبر أنه قاله.

تكرار شهادة المسيح لليهود عامةً

ـ «وكان عيد التجديد في أورشليم، وكان شتاء، وكان يسوع يتمشى في الهيكل في رواق سليمان؛ فاحتاط به اليهود وقالوا له: إلى متى تعلّق أنفسنا؟ إن كنت أنت المسيح فقل لنا جهراً. أجابهم يسوع إني قلت لكم ولستم تؤمنون. الأعمال التي أنا أعملها باسم أبي هي تشهد لي (أي أن عملي يظهرني أكثر وأهم من قولي عن نفسي)، ولكنكم لستم تؤمنون لأنكم لستم من خرافي.» (يو١٠: ٢٢ـ٢٦)

هنا المسيح يفهم اليهود و يؤكد لهم أنهم إذا لم يؤمنوا بالأعمال التي كان يعملها، وكلها تنطق بسلطانه الإلهي، فالإعلان بالكلام لن يقنعهم، ولن يفهموه. وقصد المسيح المستتر أنه كيف يؤمنون أنه إله بالكلام؟؟ يكفي أنه، أمامهم، كان يغفر الخطايا فيُشفى المريض في الحال، موضحاً أن الشفاء ممنوح بسلطان إلهي، و ينتهر الحمَّى فيقوم المريض في الحال؛ والقصد ليس مجرد شفاء هنا، بل إشارة إلى سلطان الشفاء الإلهي. و يأمر الشياطين فتصرخ وتخرج في الحال؛ ومعروف أن لا شيء يخيف الشيطان إلا الله وحده. يأمر الميت الذي له أربعة أيام في القبر فيقوم ويحلُّوه فيذهب و يعيش و يأكل، هنا قيامة الميت بعد أربعة أيام من دفنه برهان

coptic-books.blogspot.com

مباشر أن مصدر قيامته هو جبروت الله فيه: «إن آمنتِ ترين مجد الله.» (يو١١: ٤٠)

وهكذا إذا فحصنا رسالة المسيح في الإنجيل، نجدها تتجه مباشرة ضد الأعداء الثلاثة التي استعبدت الإنسان وأذلته: الخطية وما سببته من أمراض لا نهاية لها، والشيطان الذي أذل الإنسان وركبه وسكن فيه وجلب عليه العمى والصمم والخرس والشلل، والموت.

وأخيراً كشف المسيح القناع عن شخصيته عندما أمر الميت فعادت إليه روحه بعد أن أنتن الجسد في القبر أربعة أيام؛ وكل هذه المعجزات التي عملها جعلها عينة أو بيِّنة على سلطانه الذي سوف يستخدمه للإنهاء على هذه الثلاثة: الخطيئة، والشيطان، والموت، لا كحالات فردية، بل كغلبة نهائية وعامة لحساب الإنسان.

ومن الأناجيل والرسائل، ومن كلام الرب يسوع نفسه، لا يصعب علينا بعد ذلك تحديد ملامح الرب يسوع كاملة:

(أ) «أنا والآب واحد» (يو١٠: ٣٠)؛ فهو ابن الله الذي لم يفارقه قط، فوحدانية الله به قائمة.

(ب) «الذي به أيضاً عمل (خلق) العالمين» (عب١: ٢)، «الكل به وله قد خُلق.» (كو١: ١٦)

(ج) الذي عن مجيئه تركزت جميع النبوات، بل وقصة العهد القديم كله.

(د) الذي تجسد في جسم بشر يتنا من الروح القدس والعذراء مريم.

(هـ) الذي أعطى نموذجاً لمنهج ملكوت الله الأخلاقي والسلوكي قولاً وعملاً، فاستُعلن ملكوت الله به وفيه، كبشارة مفرحة للإنسان، وتأيد ذلك بمعجزات فائقة.

(و) الذي في جميع الأسفار أُعلن عن موته الكفاري فديةً عن خطية الإنسان.

coptic-books.blogspot.com

(ز) الذي بسلطانه و بقوة الروح القدس ومشيئة الآب قام من الموت بمجد، وارتفع بيمين الله ليجلس عن يمينه شفيعاً دائماً عن المذنبين.

(ح) الذي أرسل الروح القدس، الذي بواسطته يعطي المؤمنين به الحياة الأبدية ممهداً لها منذ الآن بآيات ومواهب.

(ط) الذي أسس الكنيسة بجسده، وتولى تدبيرها كرأس تستمد منه حياتها وخدمتها ونصرتها.

(ي) الذي سوف يأتي في مجده ومجد أبيه مع ملائكته القديسين ليدين ويجازي كل واحد حسب أعماله، و يبطل الشر والشرير بنفخة روحه، و يضم قديسيه و يعلن ملكوته الأبدي معهم ما لن يزول.

هذا هو يسوع المسيح، المسيا، ابن الله الكلمة الذي صار جسداً وحل بيننا، الذي بعد ثلاث سنوات ونصف من خدمته وكرازته بالتوبة جائلاً صانعاً معجزات وأشفية في الشعب، ليعرفهم بنفسه، و يعلن لهم ملكوته، سدوا آذانهم عنه، وعمّت بصائرهم، وقدموه ليُصلب، فقال لهم قولين يُتعجب منهما:

القول الأول: «لأجل هذا أتيت إلى هذه الساعة» (يو١٢: ٢٧)، وتقدم ولم يجزع من الصلب ـــ إذن فالموت كان هدف تجسده!!

القول الثاني: «هذه ساعتكم وسلطان الظلمة» (لو٢٢: ٥٣) ـــ أي أن الشيطان كان هدف معركته.

والذي نود أن نركز عليه في ذهن القارىء من جهة موضوع هذه الرسالة، وهي الخلاص كمركز عمل المسيح، وساعة الخلاص كبؤرة تجمُّع لكل قوى المسيح في مواجهة قوى الشر المتعددة وسلطان الظلمة عدو الإنسان، التي تحددت مكاناً وزماناً بالصلب خارج أسوار أورشليم؛ نريد هنا أن نكشف مدى اهتمام المسيح نفسه بهذه الساعة، باعتبارها أعلى نقطة توتر في حياته تجاه الشيطان، لخلاص الإنسان:

coptic-books.blogspot.com

فالإنجيل يعتبر أن عملية الصلب هي «ساعة المسيح» بالدرجة الأولى: «فطلبوا أن يمسكوه، ولم يلق أحد يداً عليه، لأن ساعته لم تكن قد جاءت بعد» (يو٧: ٣٠). يلاحظ القارىء أن الإنجيل يشير بطريقة سرية للغاية إلى أن لحظة مسك المسيح وإلقاء القبض عليه، مسألة تخص المسيح، وبالتالي يلزم الموافقة عليها من قِبَله مسبقاً!!

هذا الوضع تكرر عدة مرات، ولكن لم تكن الموافقة جاهزة: «ولم يمسكه أحد، لأن ساعته لم تكن قد جاءت بعد.» (يو٨: ٢٠)

وحينما جاءت الساعة، أعلن هو عنها: «قد أتت الساعة» (يو١٢: ٢٣)، ولكن ليس كأنها ساعة محبوبة، بالرغم من المجد الذي فيها ووراءها: «قد أتت الساعة ليتمجد ابن الإنسان» (يو١٢: ٢٣)، ولكنها حسب تعبير المسيح، هي ساعة الشيطان أيضاً، وساعة الظلمة، التي يهوي فيها الحق في قلب الرؤساء إلى الحضيض، وتنكّس العدالة في الأرض أعلامها، ويتنحى القضاء، ليجلس الشيطان وينطق بالحكم. صحيح أنها ستنكشف ويظهر بعدها المسيح في أعظم مواقف النصرة والمجد، ولكن بعد أن يصول الشيطان ويجول، ويتحدى عدالة الله وكرامته، فيجعل رؤساء كهنة الله وكل الكهنة مع رؤساء وشيوخ الشعب، مع هيئة القضاة، مع هيرودس الملك ونائب الإمبراطور ينطقون بدينونة ابن الله وأنه خاطىء ومستحق الموت صلباً.

في الحقيقة وعين الأمر، كانت هذه هي ساعة الظلمة الحقيقية فعلاً، التي انقلبت فيها كل الموازين والأعمدة، وهرب التلاميذ لظنهم أن معلمهم قد قُضي عليه، ورأس التلاميذ جحده علناً. إلى هذا الحد انكشفت قدرة الشيطان في التأثير بالباطل واحتواء الرؤوس والرؤساء، وإخضاع الحق للباطل حتى التمام!!

coptic-books.blogspot.com

كانت ساعة فضيحة عظمى لإستحقاقات كهنوت العهد القديم وكرامته، وساعة ضلالة مرعبة لرؤساء الشعب وشيوخه و بقيته، وساعة هزأة لتاج قيصر في محكمة قيصر، وإفلاس كامل للقانون الروماني أمام دهاء اليهود، أو بالحري الشيطان!

لهذا طلب المسيح لو أمكن أن تعبر هذه الكأس بصورتها السوداء القاتمة: «الآن نفسي قد اضطربت، وماذا أقول. أيها الآب نجني من هذه الساعة» (يو١٢: ٢٧). أن يحارب المسيح الشيطان وجهاً لوجه، نعم! ولكن أن يسخِّر الشيطان كل النظام الكهنوتي واللاوي وكل الرؤساء والشيوخ والكتبة وجمهور الشعب، والقانون الروماني بدقته، وضمائر كافة القضاة والمسئولين، ليصلبوا الحق و يضربوا العدالة على الظهر والرأس، و يدقوا المسامير في اليد التي أشبعتهم نِعماً وخيرات و بركات جيلاً بعد جيل، فهذا ما لم يكن المسيح يطيق أن يتصوره. أن يموت هو، نعم؛ وأن يتألم، فرحباً، وهو الذي تنبأ عن آلامه وموته، سواء في أذن إشعياء، أو في آذان تلاميذه؛ ولكن أن يعثر العالم فيمن أحبه وأن يرفع يده على خالقه، فهذا أمر مريع. ولولا أنه واثق من قدرة دمه على الشفاعة، فما كان في مقدور المسيح أن يقبل طوفاناً جديداً على العالم.

أما الوجه الآخر للصليب، الذي كان وما يزال مخفياً عن عين العالم، فهو أنه بعد محاكمة المسيح بالموت على الصليب، خرج النطق الإلهي بالحكم على العالم بالدينونة!! «الآن دينونة هذا العالم»!! (يو١٢: ٣١). و بإخراج المسيح خارج أسوار أورشليم، و برفعه على الصليب، فقد الشيطان في الحال سلطانه على العالم: «الآن يُطرح رئيس هذا العالم خارجاً» (يو١٢: ٣١)، أي لم يعد مصير العالم مستهدَفاً لضلالة الشيطان، ولا تعرُّضه بالتالي للهلاك الكلي، وذلك بعد دخول الصليب كعنصر خلاص وتجديد مستمر، واستعلان ملكوت الله ينمو كل يوم وسط حطام الأصنام وتخريب الشيطان.

coptic-books.blogspot.com

على الصليب

□ □ □

صحيح أنه تمت على الصليب ذبيحة الكفارة عن العالم، وسُفك دم الحمل الذي يرفع خطية العالم، كأول عنصر محسوس في تاريخ العالم كعامل مصالحة يصالح الله به العالم لنفسه. وبدأ دم ابنه الوحيد يعمل ليجمع ويوحّد المتناقضات والمنقسمات والمتنافرات؛ وحّد السمائيين بالأرضيين فيه، والنفس مع الجسد، إذ جعل الأقوى فيهما ينحاز للروح فصار الإنسان نفساً روحانية منحازة لله ومقدسة فيه، مهيَّأةً لقبول جسد القيامة، ووحَّد وآلف الشعب مع الشعوب، حيث أصبح المسيح هو إسرائيل الجديد والكنيسة هي شعبه.

أما بالنسبة للعدو، الحية القديمة، فقد تمت أخطر مواجهة منذ الخليقة، بين الإنسان والله معاً — في شخص يسوع المسيح — وبين الشيطان كرئيس لهذا العالم وكسيد الموت والموتى وقابض لأرواحهم. فمن خلف الحجاب رأى بولس الرسول ملامح معركة مهولة اضطلع بها المسيح وهو يستودع روحه في يد الآب كنائب عن البشرية كلها، كآدم الثاني الذي حمل خطايا العالم كله، كحَمَلٍ(١) لخروج حقيقي لا من مصر العبودية بل من عالم الشيطان وعبودية الخطية.

وبالصليب أبطل المسيح عمل الشيطان والخطية والموت معاً، التي كانت كحجاب فاصل يفصل الإنسان عن الله، مثَّله وشرحه شرحاً واقعياً ملموساً إنشقاق

---

(١) أنظر يو ١: ٢٩؛ خر ١٢: ٣ — ١٣.

coptic-books.blogspot.com

حجاب الهيكل الذي كان يفصل قدس الأقداس عن بقية أروقة الهيكل، أي يفصل حضور الله عن حياة الإنسان!! أما الموتى من الآباء الأتقياء والأنبياء والقديسين فقد صار المسيح باكورة لهم، إذ أقامهم معه بقيامته من الأموات! والموت صار لنا انتقالاً، حيث لا تُسلَّم بعد الأرواح إلا ليد الله، الذي صار لنا «أبا الأرواح» (عب١٢: ٩). فالله تبنَّى أرواحنا في روح المسيح لتستقر فيه إلى الأبد، بانتظار أن تلبس أجسادها الممجَّدة حسب جسد المسيح، في القيامة العتيدة أن تكون.

رؤية المسيح المسبَّقة لِما تم على الصليب:

لقد رأى المسيح ذلك اليوم مسبقاً عندما رجع تلاميذه بفرح قائلين: «يارب حتى الشياطين تخضع لنا باسمك»!! فقال لهم الرب: «رأيت الشيطان ساقطاً مثل البرق من السماء» (لو١٠: ١٧و١٨). هذه الرؤيا توضح لنا مقدرة رؤية المسيح المتسعة وإدراكه لقوته ورسالته وماذا ستؤول إليها تعاليمه وقوة اسمه: «الشياطين تخضع لنا باسمك» وكذلك «قوة صليبه»، و«قوة قيامته»، وقوة «جلوسه عن يمين الآب». هذه القدرات الفائقة لم يرَ فيها المسيح، ولا إلى لحظة واحدة، أنها عطايا أُعطيت له، بل هي غنائم أُضيفت لحسابنا ومن أجل خلاصنا من أعدائنا. فحينما جاءه صوت من السماء، رداً على سؤاله بخصوص كأس الصليب: «مجَّدتُ وأمجِّد أيضاً» (يو١٢: ٢٨)، كخلاصه من آلامه هو، فهم الناس الذين كانوا حوله أن هذا الصوت جاء لتقوية المسيح ــ كما في إنجيل لوقا ــ فرد عليهم المسيح في الحال (كما في إنجيل يوحنا): «فالجمع الذي كان واقفاً وسمع قال: قد حدث رعد، وآخرون قالوا: قد كلمه ملاك. أجاب يسوع وقال: ليس من أجلي صار هذا الصوت بل من أجلكم.» (يو١٢: ٢٩و٣٠)

coptic-books.blogspot.com

من هذا يتضح للقارىء، سواء بميلاد المسيح أو تعاليمه، أن النور قد أضاء في الظلمة فعلاً، وأن بدخول آسمه إلى العالم دخلت قوة مجددة فعالة ثم سلطان الروح الذي وهبه لتلاميذه على الشيطان نفسه بدأ يحاصر العدو ويخضعه لسلطان الإنسان، وأخيراً تكميل الموت على الصليب ثمناً لكل خطايا الإنسان. هذه كلها بدأت، في الوجه الآخر للعالم المظلم، تحاصر العدو وتفقده حرية حركته وسلطانه تجاه الإنسان. لقد انهزمت كل قوات الشر، و بدأ الإنحصار الفعلي لعالم الظلمة بسقوط الشيطان كالبرق من السماء كما رآه المسيح. فزالت مملكته من السماء بعد معركة غير منظورة، تحدث عنها بولس الرسول من وراء الحجب، معركة الصليب، هكذا:ـــ

ـــ «إذ محا الصك الذي علينا (أحكام بالموت ثمناً للخطية) في الفرائض الذي كان ضداً لنا («حمل خطايانا في جسده على الخشبة» ١بط ٢: ٢٤) وقد رفعه من الوسط مسمراً إياه بالصليب («بموته أبطل الموت» أنظر ٢تى ١: ١٠) إذ جرَّد الرياسات والسلاطين (جردهم من قوتهم ـــ أي الخطية ـــ وسلطانهم ـــ أي الموت) أشهرهم جهاراً (فضحهم علناً أمام الملائكة وأرواح القديسين، لأن الشيطان كذاب وأبو كل كذاب) ظافراً بهم (أي أمسك بهم قابضاً عليهم بكل أفرادهم مبطلاً حركتهم) فيه (أي في الصليب)» (كو٢: ١٤و١٥). ظافراً بهم في الصليب باعتباره قوة حياة وليس علامة موت بل قوة حياة أبدية.

معركة في السماء يصفها سفر الرؤيا:

أما يوحنا الرسول فيصف نفس المنظر من واقع سمائي في سفر الرؤيا هكذا:

ـــ «وحدثت حرب في السماء، ميخائيل وملائكته حاربوا التنين، وحارب التنين وملائكته ولم يقووا فلم يوجد مكانهم بعد ذلك في السماء. فطُرح التنين العظيم، الحية القديمة، المدعو إبليس والشيطان الذي يضل العالم كله، طُرح إلى الأرض وطُرحت معه ملائكته.

coptic-books.blogspot.com

وسمعت صوتاً عظيماً قائلاً في السماء: الآن صار خلاص إلهنا وقدرته ومُلكه وسلطان مسيحه، لأنه قد طُرح المشتكي على إخوتنا الذي كان يشتكي عليهم أمام إلهنا نهاراً وليلاً، وهم غلبوه بدم الخروف و بكلمة شهادتهم، ولم يحبوا حياتهم حتى الموت، من أجل هذا افرحي أيتها السموات والساكنون فيها. و يل لساكني الأرض والبحر لأن إبليس نزل إليكم و به غضب عظيم عالماً أن له زماناً قليلاً.» (رؤ١٢: ٧ــ ١٢)

المعركة بدأت على الصليب حينما أبطل المسيح، بموته الكفاري، الخطية والموت والهاو ية، وهي كل أسلحة الشيطان على الأرض، وحينما ارتفع المسيح ودخل منتصراً إلى أعلى السموات وضحت المعركة، إذ دخل المسيح كملك فصارت له كل مملكة السموات وسقط الشيطان وكل جنوده ولم يوجد لهم مكان بعد في السماء. وهكذا زالت مملكة الشيطان من السماء.

وفي الحال بدأ بالفعل حكم المسيح وملكوته حيث أُخضعت له كل القوات التي إذ سقطت صارت تحت قدميه. هذا يصفه بولس الرسول بدقة متناهية:

ــ «ذاكراً إياكم في صلواتي كي يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح أبو المجد روح الحكمة والإعلان (الكشف) في معرفته مستنيرة عيون أذهانكم لتعلموا (بالروح) ما هو رجاء دعوته (فوق) وما هو غنى مجد ميراثه في القديسين، وما هي عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين حسب عمل شدة قوته الذي عمله في المسيح إذ أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه في السماو يات، فوق كل ر ياسة وسلطان وقوة وسيادة وكل آسم يسمَّى ليس في هذا الدهر فقط بل في المستقبل أيضاً، وأخضع كل شيء تحت قدميه، وإياه جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة التي هي جسده ملء الذي يملأ الكل في الكل» (أف ١: ١٦ــ ٢٣). هذه صورة إعلان ملكوت الله في السماء، والمسيح يبدأ ملكه على كل الملائكة والأرواح والقديسين كبدء إعلان

coptic-books.blogspot.com

عمل سلطان المسيح وقدرته.

وإعلان بدء عمل ملكوت الله العلني في السماء يشمل:

أولاً: سقوط الشيطان من السماء والإنهاء على سلطان أجناده الشريرة حيث لن يوجد لهم مكان ولا عمل في السماء.

وثانياً: بداية استعلان عظمة قدرة الله الفائقة نحونا نحن المؤمنين بالمسيح إذ أجلسه عن يمينه معلناً دخولنا بواسطة المسيح في شركة الآب علانيةً، ثم إذ أخضع كل قوات العدو تحت قدميه مُلغياً وجوده في السماء أدخل في قلوبنا جرأة وشجاعة لنجاهد ضده، عالمين أنه أصبح بلا قوة، إذ فقد مركز وجوده وسلطانه الذي كان يهدد به كل مختاري الله شاكياً ضدهم ليل نهار من جهة ديونهم المستحقة له عليهم. فالآن قد مزق المسيح صك الديون والخطايا المستحقة على كل بشر بالصليب، ثم أسقط الشيطان نفسه من السماء مركز وجوده وأفقده حرية حركته، فلم تعد له السيادة المطلقة على الإنسان إذ أخضعه المسيح تحت قدميه.

فسواء من جهة مملكة المسيح التي أُعلنت في السماء بقوة واقتدار، أو من جهة مملكة الشيطان التي أفسدها المسيح وأذل سلطانها إلى الأرض، قد أصبح لنا إيمان يستمد قوته ورسوخه من جهتين: قوة المسيح وضعف العدو. ولكن بولس الرسول ليس جزافاً يصلي بحرارة لكي يعطينا الله الآب نفسه روح الحكمة والإعلان أي كشف الأسرار المخفية وراء الحقائق العظمى التي انجلت بعد معارك الصليب والقيامة ودخول المسيح إلى الأمجاد العليا، بل يزيد بولس الرسول في إلحاحه أن يعطينا الله استنارة ذهنية لتكون لنا عيون روحية ترى وتفهم وتعاين وتصدق عظمة الرجاء المذخر في دعوة الله لنا لكي نؤهَّل لشركة القديسين في النور ومدى غنى الميراث الذي ينتظرنا معهم.

coptic-books.blogspot.com

وكل ذلك قد تكشَّف لدى بولس الرسول أن كل هذه الأمجاد التي تنتظرنا هي بسبب خطة الله العظمى التي أكملها بواسطة ابنه يسوع المسيح حينما سمح بصلبه ثم أقامه ورفَّعه إلى أعلى السموات (وهو ابن الإنسان) ليهين به كبرياء الشيطان. فكما أذلَّ ذاك آدم، هكذا يذل المسيح سلطانه إلى التراب ويجعله تحت قدمي يسوع!! علماً بأن يسوع المسيح هو ابن الإنسان ونائب البشرية وآدم الثاني.

وهكذا فتح باب السماء على مصراعيه وجعل لنا دخولاً إلى ملكوت السموات عن سعة، إذ لنا من هو جالس عن يمين العظمة في الأعالي ممثِّلاً الكنيسة كرأس، معلناً افتتاح ملكوت الله في السماء لكل من يؤمن به و يتقيه و يثق و يشهد لهذا الملكوت الذي كمل الآن في السماء، هذا الذي على ضفاف الأردن كان قد ابتدأ الرب يسوع نفسه يوماً بالإعلان عن اقترابه!

نعم ها هو في السماء قائم بقوة ومجد عظيم: «فأُعطي سلطاناً ومجداً وملكوتاً... سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول، وملكوته ما لا ينقرض» (دا٧: ١٤). هذا المجد كله قد أُضيف إلى رصيد الإنسان في السموات للدخول إلى ملكوت الله. فهل نؤمن؟

حاجتنا إلى الجهاد لفهم ما صار لنا بالمسيح لنحيا به ونشهد له:

ثم أعود فأذكِّركم، أيها الإخوة، أن هذا الإيمان يحتاج إلى جهاد للفهم، كما يقول بولس الرسول إنه يصلي من أجلنا لتنفتح بصيرتنا لنفهم وتزداد لنا الحكمة. ثم لماذا يصلي بولس الرسول بهذا الطلب الكثير والعميق جداً؟ أليس لأن موضوع الإيمان هذا يفوق الرؤية العادية و يتخطى حدود المدرَكات التي لا تحتاج إلى جهاد بل إلى بصيرة؟؟

ثم بعد ذلك، ما قيمة مثل هذا الإيمان الثمين لنا؟ أليس أنه هو سلاحنا الجبار

coptic-books.blogspot.com

في جـهـادنـا اليومي لينفتح الذهن و يتقوى ضد العدو وسلطانه الموهوم وأسلحته التي أفسدها المسيح؟

ثم أليس إيمـانـنا بالملكوت، الذي هو بهذا القدر من القوة والجبروت، والذي لنـا نـصيب حتمي فيه، يكون هو سلاحنا ضد مغريات هذا العالم بأملاكه وأمجاده وممتلكاته المحكوم عليها بالزوال؟

و بعد هذا كله ليكن في علمكم أن من أولى خصائص هذا الإيمان، ليس فقط أن نـفهمه ونتحقق منه، بل وأن نحيا في الشهادة به أيضاً، الذي هو الجزء الأهم من عـمل الإيمان، والذي ينبغي أن نكون مستعدين دائماً للمجاهرة به. لأنه، فوق كونه تـكـلـيفـاً رسـمـيـاً، فـهـو عزاء ورجاء فينا، كما يقول أيضاً بولس الرسول كيف أن الـكـنـيـسـة مـنـوط بهـا الـشهادة بكل ما أكمله المسيح تمجيداً للآب وإعلاناً لكل خـليـقـة، وذلـك بحـسـب الـقـوة التي وهبها الله لتسكن فينا لتكون مستعدة للعمل والكلام والشهادة:

ــ «لـكـي يُعـرَّف الآن عـنـد الـرؤسـاء والسلاطين في السماوات، بواسطة الـكـنيسة بحكمة الله المتنوعة (كل مراحل الخلاص) حسب قصد الدهور (قبل إنشاء العالم) الذي صنعه في المسيح يسوع ربنا.» (أف ٣: ١٠ و ١١)

ــ «الـذي في أجـيـال أُخـر لم يُـعـرَّف بـه بـنـو الـبـشر كما قد أُعلن الآن لرسله القديسين وأنبيائه بالروح أن الأمم شركاء في الميراث والجسد (ملكوت الله الهائل) ونـوال مـوعـده في المـسـيـح بالإنجيل... وأنير الجميع في ما هو شركة السر المكتوم منذ الدهور في الله خالق الجميع بيسوع المسيح.» (أف ٣: ٥ و ٦ و ٩)

إذن فـمـن خـصـائـص هـذا الشق الإيماني الأعظم الذي فيه شرح كيف صار لنا نحن الأمم شركة في الميراث السماوي وفي الجسد المقدس ببشارة الإنجيل، أن يكون

coptic-books.blogspot.com

علينا بالتالي مسئولية الإعتراف والمناداة والشهادة العلنية ككنيسة تشهد على الأرض، كما أن الكنيسة غير المنظورة تشهد فوق في السماء، فالمجد العظيم الذي تم للكنيسة بواسطة يسوع المسيح والذي استُعلن تماماً، هو موضوع حياتها وشهادتها الدائمة هنا على الأرض وهناك في السماء بكل الطرق المناسبة، وكأنما جهاد الإعلان عن الإيمان المنتصر هو عملنا الأول في الأرض كما في السماء، طالبين ومنتظرين بفارغ الصبر استعلان ملكوت الله كما تم في السماء كذلك يتم على الأرض لتنتهي مأساة الإنسان.

ولكن من صوت سفر الرؤيا، نعلم أن الشيطان طُرح إلى الأرض وطُرحت معه ملائكته أي رسله وأعوانه في الشر، ونبّه سفر الرؤيا الساكنين على الأرض أن سيكون لهم ضيق: «ويل لساكني الأرض والبحر لأن إبليس نزل إليكم وبه غضب عظيم عالماً أن له زماناً قليلاً.» (رؤ١٢: ١٢)

حرب القديسين مع العدو الغاضب المهان:

هكذا في الوقت الذي هللت فيه السماء بأن صار الملك والسلطان لإلهنا وربنا يسوع المسيح، بدأت الأرض تعاني من العدو الغاضب المهان، وبدأت الحرب معه منذ الصليب، حرب القديسين غير المنظورة، ولكن معروف مسبقاً أن النصرة متيقنة بسبب الأعوان الخفيين الذين غلبوه في السماء، وهم باستعداد لمعونتنا في كل لحظة. ولأن الشيطان كُسرت شوكته وفقد سلطانه، لذلك فحرب القديسين حربٌ معانةٌ رسمياً بقوات علوية، ولن نحارب وحدنا فنحن نجاهد حقاً ولكن أي جهاد؟ جهاد المنتصرين.

لذلك يُكثر المسيحيون من إشهار الصليب في الضيق، والمناداة باسم الرب والملاك ميخائيل، لأنه داحر العدو في معركة السماء.

coptic-books.blogspot.com

وقد سبق وأنبأنا الوحي الإلهي، سواء في سفر الرؤيا أو الرسائل، أن العدو يزيد من حجم ضرباته كلما اقترب زمان نهايته، وسوف يستخدم الشيطان نفس أسلحة الرب من جهة الظهور بمظاهر ملائكة النور(٢)، أو عمله في القديسين المزيفين عاملاً بهم وفيهم آيات ومعجزات خارقة ليضل، لو أمكن، حتى المختارين أيضاً. وسيظل الشيطان يتحدى المؤمنين بطرقه المضلة وبكل حيل الخديعة في الهالكين، أي ليس بإنكار المسيح المباشر أو الحضّ على الخطية العلنية.

إذن، مجيء الشيطان ودخوله معنا في صنوف حروب متعددة أمر معروف منذ أول عصر الرسل، والكنيسة يقظة جداً لذلك في صلواتها باستمرار بكل وضوح:

ــ [الشيطان وكل قواته الشريرة اسحقهم وأذلهم تحت أقدامنا سريعاً... أبطل حسدهم وسعايتهم وجنونهم وشرهم ونميمتهم التي يصنعونها فينا... بدّد مشورتهم يا الله الذي بدد مشورة أخيتوفل... قم أيها الرب الإله ولتتفرق جميع أعدائك...](٣)

ــ [يا رب الذي أعطانا السلطان أن ندوس الحيات والعقارب وكل قوة العدو، اسحق رؤوسه تحت أقدامنا سريعاً، وبدد عنا كل معقولاته الشريرة المقاومة لنا...](٤)

إذن، فالملكوت الذي أُعلن في السماء بجلوس المسيح عن يمين الآب وسقوط الشيطان وكل مملكته، ونداء الملاك معلناً نزول الشيطان إلى الأرض لبدء إعلان حرب القديسين، هي ليست عقيدة نحفظها وحسب، بل هي حقيقة مخيفة قائمة

---

(٢) ظهور ملاك نور كاذب ليس مقصوراً على ظهور حسّي، فهذا خداع صغير وحقير، ولكن يعني معرفة الغيب والذكاء الخارق في تزييف القداسة والتقوى والمعرفة الروحية بل وإجراء معجزات شفاء بهذه الواسطة الشيطانية.

(٣) أوشية الإجتماعات. (٤) صلاة تحليل وخضوع للإبن (الخولاجي المقدس).

coptic-books.blogspot.com

نحترس منها لأنها تعمل في داخل قلوبنا! وعقولنا وأجسادنا وأعضائنا و بيوتنا وكل مداخلنا ومخارجنا وجميع طرقنا.

والشيطان يعمل بلا هوادة و بلا خطة، فهو يريد أن ينتقم و يفسد ويخرّب في كل اتجاه وفي كل نفس وكل بيت وكل عائلة وكل كنيسة وكل شعب.

ولكن أمام الإيمان بالمسيح هو جبان مهزوم ومكسور فاقد أسلحته بلا مركز ولا سلطان، يعرف من أين سقط و بيد مَنْ؟ رعبته دائمة من الصليب ومن اسم المسيح والملائكة وكل القديسين الذين دخلوا معه في حرب القداسة وغلبوا وانتصروا، وكل الشهداء الذين سفك هو دماءهم في محاكم جلس هو فيها كقاضٍ وحاكم في هيئة حكام الظلم، كل هؤلاء الشهداء هم رصيد أعوان لنا، ومجرد ذكر أسمائهم هو بمثابة إشهار سيف النصرة على الشيطان وكل أعوانه.

إذن، فجهادنا قائم حاضر، وفي كل لحظة، ولكنه جهاد المنتصرين.

لقد عانى بولس الرسول نفسه من لطمة مباشرة في جسده، ولو أنها كانت بسماح من الله حتى لا يستعلي من فرط الإستعلانات، ولكنه أدرك مصدر اللطمة أنها من يد ملاك الشيطان! لأنه إن كان يوجد إنسان واحد ما قديس قد دوَّخ العدو بمفرده في حياته، يكون هو بولس الرسول، الذي حطم آلهة الوثنيين التي نصبها الشيطان لنفسه، وزعزع أسس إمبراطورية الرومان الذين سكن الشيطان قصورهم ومنابرهم وحكم بفمهم لقتل ملايين المسيحيين الأتقياء. هذا هو بولس العارف بكل أسرار الشيطان ولا يجهل حيله يقول عن الأيام الأخيرة لحرب الشيطان: «من جهة مجيء ربنا يسوع المسيح... لا يأتي إن لم يأتِ الإرتداد أولاً و يُستعلن إنسان الخطية ابن الهلاك المقاوم والمرتفع على كل ما يُدعى إلهاً أو معبوداً حتى إنه يجلس في هيكل الله كإله مظهراً نفسه أنه إله. أما تذكرون أني وأنا بعد عندكم كنت أقول

coptic-books.blogspot.com

لكم هذا (يلاحظ أن هذا تراث تقليدي للتعليم بالتسليم كان يُسلَّم للموعوظين لكل كنيسة كعقيدة موروثة من المسيح نفسه). والآن تعلمون ما يحجز (أي تعرفون فقط ما يمنع ظهور الدجال) حتى يُستعلن في وقته، لأن سر الإثم (أي العنصر العام للشر الذي تتولد منه كل خطية) الآن يعمل فقط إلى أن يُرفع من الوسط الذي يحجز الآن (القوة التي تمنع الدجال من بدء ظهوره)، وحينئذ سيُستعلن الأثيم (أي يظهر علانية كشخص له كيان وآسم)، الذي الرب يبيده بنفخة فمه (كما سبق وتنبأ عنه إشعياء النبي: «ويميت المنافق بنفخة شفتيه» إش ١١: ٤)، و يبطله (يلغي وجوده) بظهور مجيئه، الذي مجيئه (الأثيم يكون) بعمل الشيطان بكل قوة و بآيات وعجائب كاذبة و بكل خديعة الإثم في الهالكين لأنهم لم يقبلوا محبة الحق حتى يخلصوا، ولأجل هذا سيرسل إليهم الله عمل الضلال حتى يصدقوا الكذب، لكي يُدان جميع الذين لم يصدقوا الحق بل سرُّوا بالإثم.» (٢تس ٢: ١ـــ١٢)

يلاحظ القارىء المجاهد أن الشيطان سيظل يضلل الأشخاص الأتقياء أولاً، ثم الكنائس، والشعوب، والأمم، ليضل أعظم قدر من بني البشر، ليرضي كبرياءه الساقط؛ وستزداد أعماله عنفاً وضلالاً وتتلون بألوان القداسة وتزداد في ضلالها ليبدأ عصر الإرتداد عن قناعة كاذبة لأن الناس يرفضون الحق، حتى يأتي المسيح فجأة في مجيئه الثاني المخوف المملوء مجداً مع ملائكته وقديسيه، وهنا تبدأ نهاية الشيطان والدينونة العظيمة.

أما نفخة المسيح، التي يراها إشعياء النبي من بُعد وهي خارجة من شفتيه (إش ١١: ٤)، فهي نفخة الروح القدس في العالم ليكشف كل أستار الظلام و يُستعلن الحق ليتوارى الكذب والضلال إلى الأبد.

coptic-books.blogspot.com

الإختيار بين «محبة الحق» أو «مسرة ولذة الإثم»:

كذلك يلزم أن ننوه هنا بكل دقة أن أمامنا دائماً أن نختار بين «محبة الحق» أو «مسرة ولذة الإثم». فالذي يرفض الأولى يسقط حتماً في الثانية. لأن رفض الحق هو رفض المسيح نفسه، ومسرة لذة الإثم بكل صنوفها هي عشقٌ لسحر الشيطان. كما أن علينا أن نربط هذا بقول المسيح أن هذا من علامات آخر الزمان: «لكثرة الإثم تبرد محبة الكثيرين.» (مت ٢٤: ١٢)

هنا ليس الكلام بسيطاً بل عميقاً وخطراً، لأن كلمة «كثرة» تفيد سرعة الإنتشار التي تتناسب الآن مع وسائل الإعلام، كما أن الكثرة تفيد في لغة المسيح (الأرامية) معنى الكلية، كما أن كلمة «إثم» تفيد أمور الجنس بالدرجة الأولى، فهي الخطية المفضلة لدى الشيطان التي يصطاد بها قامات الإنسان الغضّة ليتلف الجنس البشري من أصوله، من الصبيان والشبان والشابات من خيرة قوى البشرية، بالخطية التي إذا دخلت لحمهم سرت في دمهم حتى الشيب، وهنا معنى الكثرة. كذلك ربط الكثرة بالإثم تفيد تماماً عمليات طغيان الضلال بصورة جارفة وهو هو مفهوم الإرتداد تماماً الذي نرى باكوراته الآن تهلُّ علينا من الغرب.

أما كلمة «تبرد» فهي تفيد في الحال إنطفاء نار المسيح التي ألقاها على الأرض يوم الخمسين، فالروح القدس لن يغادر الأرض طالما هناك قدم قديس واحدة تدب على الأرض أو قدم طفل بريء. ولكن الذي يحدث هو أن ينطفيء الروح وتبرد شعلته من القلوب وينعزل حزيناً، كما انعزل لوط البار وحده في مدينة الزنا والفجور حتى أحرقها الله بمن فيها.

أما برودة المحبة تجاه الله وكلمته وأتقيائه بالروح، فهي الإنصداد عن تصديق الحق أو حتى فهمه أو حتى الإنشغال به، فيصير الحق كمية مهملة في عالم

coptic-books.blogspot.com

الإلـيكترونات والآلات والمعجزات الخاطفة للأبصار التي يتفنن الشيطان في إتقان صُنعها بواسطة الإنسان لجمع شمل الهالكين.

ألا تـرون مـعـي الآن ونحـن على حـافـة النهاية، والعلامات قد بدأت تظهر، أن طلب مجيء المسيح أمر مستحبٌّ جداً «ماران آثا»! (١ كو١٦ : ٢٢)

ولـكـن المسيح نـفسه يناديكم، هل عندما أجيء أجد فيكم إيماناً وأجدكم سـاهـرين؟ هـل أسـتـطـيـع أن أدخـل وأبيت في قلوبكم، وهل تحتملونني؟ لأنه مكتوب «ومن يحتمل يوم مجيئه» (مل٣ : ٢)؟؟ نعم سنجاهد إلى أن يجيء، ونحن واثـقـون أن جـهـادنـا مُعانٌ، وصوته الآن يرن في قلوب ذوي الآذان المفتوحة: «لا أترككم يتامى» (يو١٤ : ١٨)، بمعنى أني لن أترككم بلا معين ونصير ومعزي!!

المسيح كما هو:

إن كـلمة السر التي كانت تعيش بها كل مجموعات المؤمنين والكنائس الصغيرة المجـتـمعة في كل مدينة وقرية هي «إذا أُظهر سنراه كما هو»، كما رأته مريم المجدلية عـنـد الـقبر، سيعرفنا في الحال بأسمائنا وسنعرفه كما أحببناه بل «إذا أُظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو» (١يو٣ : ٢)، و«متى أُظهر المسيح حياتنا فحينئذ تُظهرون أنتم أيضاً معه في المجد.» (كو٣ : ٤)

ففي جرأة بولس رسوله و يوحنا حبيبه، فإننا «سنكون مثله» لأنه «سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده بحسب عمل استطاعته أن يُخضع لنفسه كـل شـيء» (في٣ : ٢١). وها نحن خاضعون وساجدون أمامك يا رب!! أي بلغة الـقـداس: نحـن دائماً مستعدون لظهورك ومجيئك وخاضعون لنتغير حسب مشيئتك، وها نحن نطلب سرعة مجيئك «ماران أثا».

coptic-books.blogspot.com

كان لدى الكنيسة الأولى، وجميع القديسين بعد ذلك على مدى العصور، كانت عندهم الثقة المطلقة بدرجة الإيمان اليقيني أننا سنراه كما هو عند ظهوره ولن نخجل منه، كقول يوحنا الرسول الذي عاصر نهاية القرن المسيحي الأول: «وأما أنتم فالمسحة (الختم) التي أخذتموها منه (الماء والدم والروح القدس) ثابتة فيكم ولا حاجة بكم إلى أن يعلمكم أحد (بر الناموس الموسوي) بل كما تعلمكم هذه المسحة عينها (صوت الروح القدس) عن كل شيء (الخلاص والدينونة والحياة الأبدية) وهي حق وليست كذباً، كما علّمتكم تثبتون فيه. والآن أيها الأولاد اثبتوا فيه حتى إذا أُظهر يكون لنا ثقة ولا نخجل منه في مجيئه... الآن نحن أولاد الله ولم يُظهر بعد ماذا سنكون (ترتيب الحياة في السموات) ولكن نعلم أنه إذا أُظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو (تقليد رسولي عام).» (١يو٢: ٢٧ و٢٨؛ ٣: ٢)

هذا هو التقليد الرسولي الكنسي العام الذي كان مسلّماً للمؤمنين ليعيشوا على الإيمان به، وهو قائم على شقين:

الشق الأول: أننا سنرى المسيح كما هو في مجيئه.

الشق الثاني: أنه سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده، وإلا يتعذر علينا رؤيته كما هو!

أما النتيجة المباشرة، وهي كانت موضوع عزاء جميع النسّاك والعبّاد مدى الدهور، فهي أننا لن نخزى منه عندما نراه و يرانا.

وهذا الشعور كان يستحث القديسين على مجاهدة النفس بصورة حاسمة ودقيقة باستمرار حتى لا يكون فينا عيب فنُفتضح أمامه إذ نوجد عراة من مجده. وهذه الحالة نبّه عليها الرب بنفسه في سفر الرؤيا لملاك كنيسة اللاودكيين: «لأنك تقول إني أنا غني وقد استغنيت ولا حاجة لي إلى شيء (كامل في الإيمان والقداسة

coptic-books.blogspot.com

والنعمة) ولست تعلم أنك... عريان، أشير عليك أن تشتري مني... ثياباً بيضاً لكي تلبس (باستعداد السهر للُقيا العريس للجلوس في الوليمة) فلا يظهر خزي عريتك.» (رؤ٣: ١٧و١٨)

وإن حال ملاك كنيسة اللاودكيين مع كنيسته هو صورة طبق الأصل من حال أورشليم والهيكل ورؤساء الكهنة والكهنة والكتبة والفريسيين وشيوخ الشعب والشعب في زمن مجيء المسيح، إذ كانوا يحسبون أنفسهم أتقى أمة على الأرض وأخيَر شعب وأعظم عبادة، في حين أن النبوات تقول إنهم كانوا أرضاً يابسة، والمسيح يقول إنهم بعبادتهم وهيكلهم لصوص في مغارة.

هذا المنظر الذي يصوره الرب لإنسان قد اغترَّ في نفسه بسبب منظر التقوى دون عملها وقوتها، كإنسان يكتشف فجأة، في وجود الملائكة والقديسين والأرواح المكمَّلة في المجد وأمام المسيح، أنه عريان مكشوف العورة!! هذا التشبيه المزعج جداً وهذا التوبيخ المريع يدخل في صميم عناصر الإيمان بما هو حالنا في استعلان مجيء المسيح الذي نصرخ به كل يوم: «وننتظر قيامة الأموات وحياة الدهر الآتي»!!

هنا سؤال يبرز بصورة ملحّة: ماذا كان تسليم الكنيسة وماذا كان توجيه الروح القدس للرسل في هذا الشأن لكي نكون في أمان من هذا الوضع المخزي في اليوم الأخير الذي ينكّد علينا الحياة منذ الآن وإلى الأبد!؟

كنيسة أواخر الدهور:

إن توجيه المسيح في سفر الرؤيا لهذه الكنيسة المنكودة، الكنيسة السابعة، كنيسة أواخر الدهور، يوجه أنظارنا إلى أنفسنا، لأننا بالحق نكاد نكون عراة، ندّعي

coptic-books.blogspot.com

أننا كنيسة الأعمال ونحن لا أعمال ولا إيمان ولا جهاد لنا ، ولكن وصية المسيح فيها رجاء وأمل ، إنه يقدم نصيحة نسكية مائة بالمائة . فهو يعطي مشورة ، وهنا الخطورة ، لأنه لو كان أعطى أمراً لكنا نطمئن أننا أبناء في الحظيرة ومِلك يديه ، إذ أن المدبر والراعي عندما لا يُعطي أمراً بل مجرد مشورة فهذا يعني أنه لا يكلم أبناءً له بل أشخاصاً ابتعدوا عنه فعلاً ولم يصبحوا في متناول يده . فهو يناديهم من بعيد لأنه يعلم أنهم في كنف الأعداء وأية قسوة أو شدة تجعلهم يتمادون في البعاد . فهو ولو أنه الرب والإله ورأس الكنيسة ، ولكنه يعطي مشورة متعددة الأدواء ، لأن المرض ألمّ بالجسد من هامة الرأس إلى إخمص القدم ، فقد ارتمينا في حالة شقاء بالبعد كل البعد عن راحة النعمة وسلامها . وصار البؤس وفقدان عزاء الله بل حتى عزاء الرفيق والصديق مبرِّحاً بسبب غياب المسيح نفسه .

أما الفقر فهو فقر الروح الذي ينتهي بالهلاك ، والعمى بسبب فقدان البصيرة لغياب كلمة الحياة . أما العُري بانكشاف العورة فهو بسبب عشق الأجساد وفسق العيون ، وفضيحة النجاسة التي خرجت من الداخل إلى الخارج فصارت حياة النجاسة علنية . والرب وقف ينظر من بعيد متردداً أو كما يقول هو بنفسه : « هانذا واقف على الباب وأقرع ... » (رؤ٣ : ٢٠) ، لقد كلّت يده من قرع الباب و بحّ صوته من التحذير !!

المبادىء التي يقوم عليها الجهاد المنتصر:

نظرة أخرى إلى عنصر جهاد الإيمان الذي عاشه آباؤنا وعبروا به إلى النصرة ، فنرى أنها تختص جداً بهذه الحالة ، لأنهم كانوا أكثر حكمة وأوفر أدباً وتأدُّباً وكانت لهم غيرة مشهوداً لها ، فكانوا بكفاءة يصارعون الخطية في الجسد ، رجال أشداء بالإيمان قهروا ممالك بالحق ، وعاشوا في القفار والجبال وشقوق الأرض بالصدق ، ودانوا أنفسهم قبل أن يُدانوا ، وحكموا على أنفسهم قبل أن يُحكم عليهم ، ونالوا من

coptic-books.blogspot.com

الروح القدس براءة ومؤازرة، وكانت أعمالهم تشهد لإيمانهم. لقد ركضوا في الميدان حسب نصيحة بولس الحسن الدُّربة والتدريب:

ـ «هكذا اركضوا لكي تنالوا، وكل من يجاهد يضبط نفسه في كل شيء... إذاً أنا أركض هكذا كأنه ليس عن غير يقين، هكذا أُضارب كأني لا أضرب الهواء. بل أقمع جسدي وأستعبده حتى بعد ما كرزت للآخرين لا أصير أنا نفسي مرفوضاً.» (١كو٩: ٢٤ـ٢٧)

انتبهوا للمبادىء التي يقوم عليها الجهاد المنتصر: أركض ولكن «ليس عن غير يقين»، أي أنه بإيمان ثابت راسخ واثق من النصرة، أي واثق من الغاية أي من الحياة الأبدية التي يركض نحوها!! أي يسير و يعلم إلى أين يسير، ويجري وهو بلا عائق يرى الهدف لا كأنه بعيد ولكن كأنه قد وصل!! اسمعه بوضوح يقول عن هذا: «وأخيراً قد وُضع لي إكليل البر الذي يهبه لي في ذلك اليوم الرب الديان العادل» (٢تى ٤: ٨). مع أن بولس الرسول كان لا يزال حياً ولا يزال يسعى طالما الوقت يُدعى وقت، ولكنه يرى بعين إيمان النصرة الإكليل الذي سيهبه له الرب في يوم ظهوره، يراه أنه قد وُضع و«ذلك اليوم» لا يزال وراء الدهر...

كذلك يقول بولس الرسول: «هكذا أضارب لا كأني أضارب الهواء، بل أقمع جسدي وأستعبده». هنا بولس الرسول يعطي نفسه مثالاً للجهاد المنتصر، وهو نفسه يقول: «وقت انحلالي قد حضر» (٢تى ٤: ٦)، أي في أواخر شيخوخته، وهوذا يقمع جسده و يستعبده خوفاً لئلا تُرفض كرازته!! أي أنه لا يجاهد بالكلام أو يعلِّم الآخرين و يتعامى عن نقائصه أو يتهاون في سلوكه الداخلي بل يقمع جسده و يستعبده لأنه ينظر إلى المجازاة، يجاهد وعينه على الجعالة التي يركض في طلبها، يتكلم ليس من نفسه بل ناظراً إلى من يسمع و يدين: «كما من الله نتكلم أمام الله.» (٢كو٢: ١٧)

coptic-books.blogspot.com

هـذا هـو الـعـنصر الأساسي للإيمان الحي ذي الجهاد المنتصر، أن يجدد الإنسان موقفه من الله أمام الله وكأنه في يوم الدينونة أو أمام العرش متكلماً أو عاملاً أو ناسكاً في العلن كما في الخفاء. فإن نظرة الإنتصار والغلبة التي ترافق جهادنا في أي مرحلة من مراحله هي هي صميم عنصر الإيمان هذا. لماذا؟ لأن المسيح وهب لنا أن ننتصر في جهادنا لأننا لا ننتصر لحساب أنفسنا بل نجاهد وننتصر لحساب المسيح: «شكراً لله الذي يعطينا الغلبة بربنا يسوع المسيح!! إذاً يا إخوتي الأحباء كونوا راسخين غير متزعزعين مكثرين في عمل الرب كل حين عالمين أن تعبكم ليس باطلاً في الرب.» (١ كو١٥: ٥٧و٥٨)

و يكاد الرسول بولس يكشف سر الغلبة بقوله: «كونوا راسخين»، لأن رسوخ الإيمان في ربنا يسوع المسيح بكل عزم القلب واليقين هو هو الذي يعطي النصرة بل هو هو النصرة بعينها!!!

ولكن قد يتبادر إلى ذهن من يفحص الكلام، قبل أن يطبقه، إعتراض، فيقول: إذا نظرنا أنفسنا منتصرين هكذا ونحن لا نزال نحارب ونجاهد، أليس في هذا كبرياء مثلاً؟؟ هذه اعتراضات الذين لا يريدون أن يؤمنوا، لهؤلاء نقول كما قال بولس الرسول:

— «نقُّوا منكم الخميرة العتيقة، لكي تكونوا عجيناً جديداً كما أنتم فطير.» (١ كو٥: ٧)

هنا المضادة التي تحرك ذهن المتشكك.

بولس الرسول يسلِّم بأننا فطير الحق وأننا عجينة جديدة، ولكنه يقول، وهذا حق كل الحق، أننا لو تركنا العجينة الجديدة بدون تنقية تتخمَّر وتصير كالعتيقة. إذن، فدوام فحص الذات وتنقية الفكر والضمير على ضوء الكلمة أمر حتمي لذوي الإيمان الراسخ المنتصر.

coptic-books.blogspot.com

غير أننا لا يمكننا أن نترك هذا الذي قاله بولس الرسول دون أن ننتفع به أكثر ـــ إن قوله: «كما أنتم» تفيد معنى للإيمان عالٍ جداً ومرتفع عما اعتدنا عليه، فكأنه يقول: «كونوا دائماً كما أنتم». بولس الرسول يريدنا أن نعيش في رؤيا «وضع الإكليل» كما رأى نفسه، يجاهد ولكن يرى نفسه دائماً والإكليل موضوع على رأسه، ولكن هذا لا يستقيم إلا مع قوله: «ليس أني قد نلت أو صرت كاملاً ولكني أسعى لعلي أدرك الذي لأجله أدركني أيضاً المسيح يسوع.» (في٣: ١٢)

و بولس الرسول لا يرى لنفسه وحده هكذا ولكن يراه للجميع، لأنه عنصر من عناصر الإيمان الذي ينادي به: «قد وُضع لي إكليل البر ... وليس لي فقط بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضاً.» (٢تى ٤: ٨)

وهكذا يتأكد لنا أننا نلنا من الله طبيعة جديدة حقاً، وهي لا تتناسب مع الشر، هذه الطبيعة اكتسبها لنا المسيح وأعطاها قوة لتغلب كما غلب هو العالم على أساس أنه كسر شوكة الخطية التي تحارب الجسد وكسر سلطان الشيطان القوة العاملة في الخطية، من أجل هذا يقول بولس الرسول بكل عزم القلب: «آحسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية ولكن أحياءً لله بالمسيح يسوع ربنا.» (رو٦: ١١)

كلمة «آحسبوا» تجيء في المعنى بمفهوم: «أحكموا حكماً قاطعاً» ... هذا موقف الإيمان المنتصر، لا معاملة قط مع الذي أمات المسيح، لأننا قمنا مع المسيح وجلسنا معه في السماويات، هذه رؤية من يجاهد جهاد الإيمان، الإيمان الحسن. إحساس من يعيش بجهاد الإيمان المنتصر مستمَدٌّ من المسيح حقاً: «وأما أنتم فلستم في الجسد (روح القيامة) بل في الروح إن كان روح الله ساكناً فيكم، ولكن إن كان أحد ليس له روح المسيح فهو ليس للمسيح.» (رو٨: ٩)

هنا الوازع الديني والتقوي لا نستمده من إرادتنا الهزيلة ولكن هي قوة خاصة

coptic-books.blogspot.com

تـشدنا إلى فوق ، قوة الدعوة التي دعانا بها الله إلى ملكوته . لذلك فإنه خطر علينا جداً أن نـتـراجـع لأن عـلـيـنـا شهوداً : « ونُشهد كم لكي تسلكوا كما يحق لله الذي دعاكم إلى ملكوته ومجده . » (١ تس ٢ : ١٢)

صحيح أن موقفنا في العالم ضعيف إزاء هذه الدعوة المجيدة العظمى ، ولكن حتى في ضعـفنا هذا ، وتقلبات الفكر والجسد فإن منغِّصات الحياة اليومية لا تستطيع أن تطغى على حـق الله فـينا أو على الله الحق الذي نعيش أمامه . فإن سفاسف الحياة لا يمكن أن تزعزع دعوة ملك الملوك ورب الأرباب ، لأن المسيح نفسه تكفَّل أن يعيد إلينا قوة مجددة إزاء ما نفقده كل يوم إثر منغصات الحياة « الذي سيثبتكم أيضاً إلى النهاية بلا لوم (أي بـلا تـوبيخ) في يوم ربنا يسوع المسيح ، أمين هو الله الذي به دُعيتم إلى شركة ابنه يسوع المسيح ربنا . » (١ كو ١ : ٨ و ٩)

عجيب الله حقاً في دعوته هذه ، فهو مُصِرٌّ عليها كما تقول الآية : « أمين هو الله الذي به دُعيتم » ، أي يمكنكم جداً الإعتماد عليه ، فهو لا يدعو فقط بل و يضمن نفاذ دعوته . فـلـمـاذا لا يـثـبـت إيمانكم و يترسخ ؟ إنها خطية عظمى إذا نحن أهملنا دعوة ثمينة جداً ومجيدة جداً ، هي على قدر صاحبها .

فإذا داهمنا شك من جهة المفارقة الفظيعة بين معدننا الخسيس وطبيعة الله ، فكيف نـقـف أمـامـه ، وكـيـف نـثـبـت ، ومـا هـو الـذي يؤهلنا لهذا الشرف وهذا المجد وهذه الـكـرامـة ؟ فإذ نخاف جداً يعود يشجعنا : « نصلي أيضاً كل حين من جهتكم (لاحظ أن بـولـس الـرسول الآن في السماء) أن يؤهلكم إلهنا للدعوة و يكمل كل مسرة الصلاح وعمل الإيمان بقوة . » (٢ تس ١ : ١١)

وكـأنما الروح يحاصرنا من جميع الجهات حتى لا نفلت من هذه الدعوة لأنه يبدو أن ذلك يهم الله جداً و يفرِّح قلب ابنه .

« إن محبة المسيح تحصرنا . » (٢ كو ٥ : ١٤)

آمين .

coptic-books.blogspot.com